الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة –

كلية الآدب واللغات

قسم اللغة والأدب

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط: 1635108291

الموروث الثقافي ووعي الذات في رواية "لبيك حج الفقراء" لـ "مالك بن نبي"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: أدب جزائري.

إعداد:

كريمة خلوف

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصف
أسماء غجاتي	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف– المسيلة	رئيسا
سعدية بن ستيتي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف –المسيلة	مشرفا ومقررا
مراد قفي	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف –المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443هـ –1444هـ الموافق لـ 2022م–2023م.

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة –

كلية الآدب واللغات

قسم اللغة والأدب

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط: 1635108291

الموروث الثقافي ووعي الذات في رواية "لبيك حج الفقراء" لـ "مالك بن نبي"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: أدب جزائري.

إعداد:

كريمة خلوف

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصف
أسماء غجاتي	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف– المسيلة	رئيسا
سعدية بن ستيتي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف –المسيلة	مشرفا ومقررا
مراد قفي	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف –المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443هـ –1444هالموافق لـ 2022م–2023.

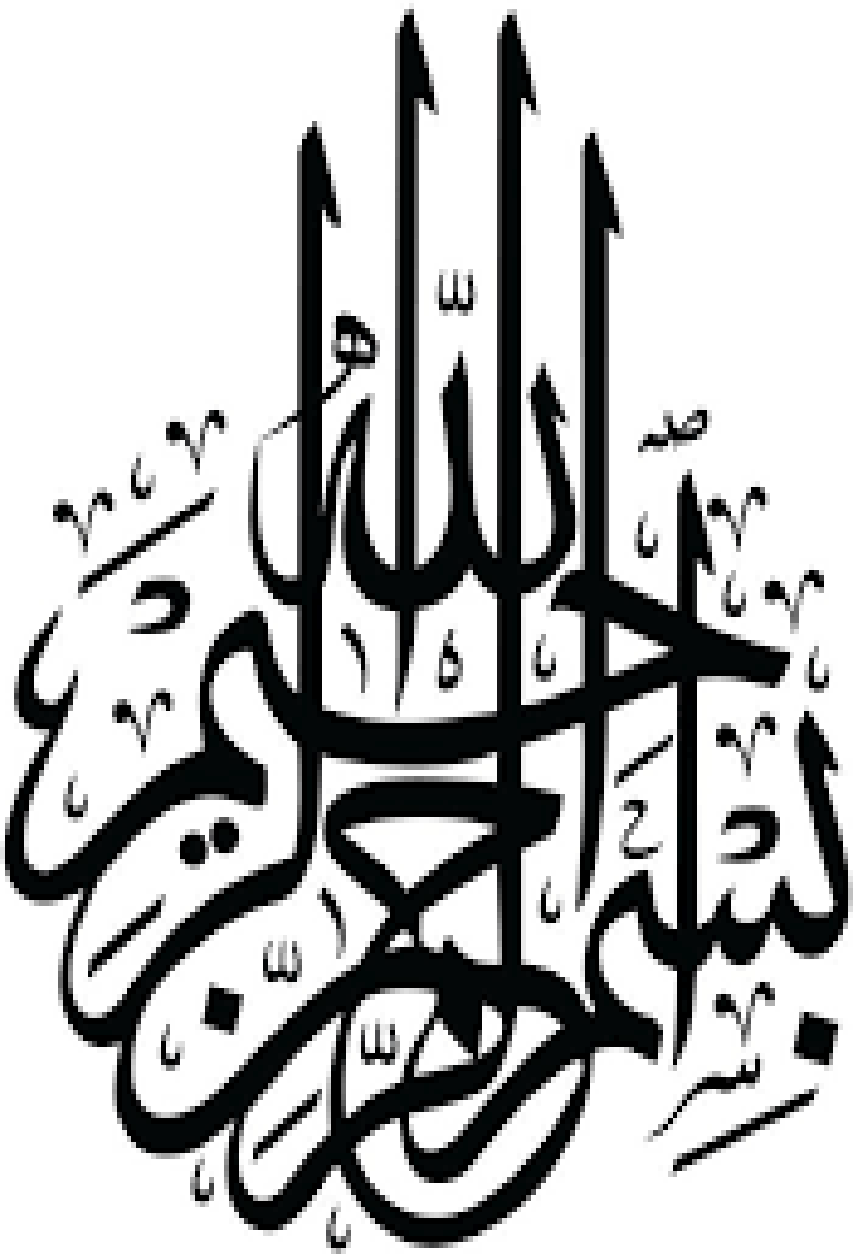
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الأمين

بداية نشكر ونحمد الله الواحد الأحد الذي أنعم علينا بنعمة محبة العلم والعلماء،

والذي أمدّنا بالعزيمة والإرادة لإتمام هذا العمل.

وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان لكل من كان لهم الفضل في إتمام هذه المذكرة،

وأخص بفائض الشكر والتقدير والاحترام البروفسور والأستاذة الفاضلةالمشرفة

على هذا العمل: "سعدية بن ستيتي"

والتي أفاضت عليَ بدعمها وثقتها الدائمين ولم تدّخر أي جهد في نصحي وإرشادي،

راجية لها تمام الصحة والعافية،

والشكر والاحترام موصول لأعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بقبول

مناقشة هذه الرسالة والذين تشرفت بهم.

كما أتقدّم بأسمى عبارات التقدير لطاقم جامعة محمد بوضياف الرائدة،

بداية من السيّد رئيس الجامعة، مروراً بالسيّد عميد كلية الآداب واللّغات

وصولا إلى السيّد رئيس قسم اللغة والأدب العربي

إلى أساتذة وإداريين، أمناء وعمالا.

راجية من الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الدراسة المتواضعة

إضافة للمكتبة الجامعية بإذن الله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الإهـــــداء

إلى كل من يرى في الأدب رسالة جميلة راقية، ومعولاً للإصلاح والتوعية والبناء.

كريمة

مقدمة

مقدمة:

يمثل التراث بشكله العام وبمضامينه المختلفة أحد أهم الركائز التي تشكل هوية مجتمع ما وانتمائه لوطنه، فهو بلا شك مع ما يمتاز به من خصوصية وما يطبعه بنمطٍ فريد روح للأمة ومنبع استمرارها، لذا تسعى فئات واعية غيورة على موروثهامن مختلف الشعوب إلى الحفاظ على تراثها الثقافي، وذلك في مواجهة تيار التغريب والعولمة والذوبان في ثقافة الآخر والانبهار به وبالتالي الانسلاخ عن الذات ومقوماتها، فالموروث الثقافي بهذا المعنى ينبع من تلك العادات والتقاليد والآداب والفنون وكل السلوكات التي خلفها الأجداد وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد آخر.

وما تمسكنا به سوى تشبث بالهوية والخصوصية وتعزيز لقيم الانتماء والولاء للوطن ولجذورٍ ضاربة في أعماق التاريخ العربي الإسلامي، هذا التاريخ الذي لا يمكن لتعاقب الأزمان أن يُحدِث فيه أي خلل أو ارتباك باعتباره نابع من طبيعة وفطرة الفرد العربي، المشبّعة بالأخلاق الراقية، والسجايا الحميدة التي تبقى راسخة رغم تعاقب الحقب التاريخية والأزمان.

والجزائر بشكل خاص، غنية بقيمها وبإرثها الثقافي الحضاري النابع من تعاقب الحضارات المختلفة التي وفدت إليها في غابر الأزمان، والتي أثرت رصيدها الثقافي وزادتها تمسكاً بخصوصيتها وهويتها انطلاقاً من وعي ذات الفرد الذي بقي جزائرياً، رغم ظروف الاستعمار ومحاولات تنصير هذه البلاد التي آبت إلا أن تكون عربية مسلمة.

وعن التراث الثقافي الذي لمسنا فيه وعياً للذات الجزائرية، لفت انتباهنا عملٌ روائيٌ لكاتب وفيلسوف ومفكر من بين أهم الرجالات الذين أنجبتهم الجزائر، والذي لطالما تحدث في كتبه القيمةِ عن الحضارة والثقافة وشروطها ومشكلاتها، خاصة أن الرواية تأتي بعد مرور أكثر من مئة عامٍ من الاحتلال الفرنسي، إذ ظن الأخير حينها أنه قد نجح في مسعاه بطمس كل مظاهر الهوية وأن المجتمع الجزائري قد ذاب تماماً في ثقافته الغربية الوافدة، حيث وجدنا بها من وعي

للذات والهوية ماناسب موضوع دراستنا المعنونة بـ«**الموروث الثقافي ووعي الذات في روايةلبيك حجّ الفقراء "لـ"مالك بن نبي**"».

وقد كان دافعنا لاختيار هذا الموضوع؛ أوّلاً وقبل كلّ شيء، تأثّرنا بهذا المنجز الأدبي القيم ومحاولتنا تسليط الضوء على غنى الجزائر بالموروث الثقافي وإبراز أثر وعي الذات في أدراك هذا الموروث والحفاظ عليه و الانتماء إليه، وكذا إبراز مدى تمّكن وقدرة الكاتب على إيصال فكرته للمتلقي،ليس فقط عبر كتبه الفكرية بل وتجربته الأدبية على حدّ سواء، وكذا إماطة اللثام عن رواية لم تلق حظّها من البروز والاهتمام كما هو الشأن مع أعمال أدبية قد لا تكون في مستواها الفكري والإصلاحي خاصة، في حين اقتصرت الصعوبات على اتساع الموضوع والذي صعب الإلمام به.

وانطلاقاً من ذلك نصل إلى طرح الأسئلة الجوهرية التالية:

– ما أهميّةالتراث الثقافي والحضاري في الجزائر في رواية"لبيك حج الفقراء"؟

– إلى أيّ مدى وفق الكاتب في تجسيد تنوع هذا التراث في روايته؟

– ما أثر وعي الذات في الحفاظ على هذا الإرث والانسجام معه؟

_ وما الذي أراد "مالك بن نبي" إيصاله للمتلقي عامة والجزائري بشكل خاص من عمله الروائي، وفي تلك الفترة بالذات؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا خطة بحث تضمّنت مدخلا وفصلين وخاتمة.

المدخل، كمجال تأطيري، خصّصناه لأهمّ المفاهيم الواردة في البحث، وهي: مفهومالموروث الثقافي، مفهوم وعي الذات ومفهوم الشخصية أمّا **الفصل الأول** والذي حمل عنوان تجليات الموروث الثقافي في رواية" لبيك حج الفقراء " فاندرجت ضمنه ثلاثة مباحث وهي: الموروث الديني، الموروث الاجتماعي وأخيرا الموروث الحضاري، وعن**الفصل الثاني**

فكان بعنوان وعي الذات في رواية " لبيك حج الفقراء "والذي حوى هو الآخر ثلاث عناصر بحثية كالتالي: وعي الذات المحورية، وعي الذات وأبعاد الشخصية ووعي الذات للزمان والمكان، وطبعا خلصنا في نهاية البحث إلى خاتمة ضمّت أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد استندنا في دراستنا إلى مراجع ثمّنت البحث وصوّبت منحاه، ولعل أهمها وعلى رأسها:كتابيْ "مشكلة الثقافة"و"شروط النهضة"لـ"مالك بن نبي"واللذان قربا لنا المعاني وأوضحاها،وكذلك أفدنا بالشيء الكثير من كتابيْ"شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة"لصاحبه"فتحيبوخالفة" و"التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة "للكاتبنفسه وكذلكاعتمدنا على رسالة الدكتوراه للباحثة"**سعدية بن ستيتي**"والمعنونةبـ " فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية "كتاب الأمير" لـ "واسيني الأعرج"، في توضيح العلاقة بين الذات والمكان.

وغيرها من الكتب الأخرى التي أنارت لنا طريق البحث.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون عبر إطار تأويلي لتناسبه مع موضوع الذات والفكر، واعتمدنا طبعا على آليتي الوصف والتحليل وأحيانا المقارنة في بعض المباحث التي استدعت ذلك.

في الأخير نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة "**سعدية بن ستيتي**"علىمرافقتها العلمية لنا طوال مشوارنا الجامعي وعلى كلّ الدعم والتوجيه وبالأخص الثقة التي غمرتنا بها، كما نوجه الشكر لكلية الآداب واللغات وإلى قسم اللغة والأدب العربي، أساتذة وعمّالا وإداريين.

ونحن لا ندّعي أنّنا ألممنا بجوانب الموضوع الذي لا يمكن الإحاطة به مهما قيل فيه، وعليه نستسمح مسبقاً عن جوانب النقص التي لابد وأنّنا قد وقعنا فيها، باعتبار الكمال لله وحده، ورجائنا أن نكون قد وضعنا لبنةً نأمل أن تكون مفتاحا لدراسات أخرى مستقبلا.

هذا وإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، وما التوفيق إلا بالله تعالى.

مدخل

مفاهيم ومصطلحات

أولاً:مفهوم الموروث الثقافي:

1-التراث:

إن الحديث عن التراث متشعب إذ تتمايز الآراء حوله وذلك انطلاقا من تعريفه، وكذا منالجوانب التي ينطلق منها الدارسين في فهم هذا الموروث وأبعاده وكذا مدا أهميته في واقعالشعوب، فلا يوجد تعريف خاص أو موحد للتراث ولذا تعدّدت التعريفات واختلفت بتطور ومضي العصور.

***لغة:** إن كلمة التراث واحدة من أسماء الله الحسنة "الوارث"إذ الوارث: «صفة من صفاته عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلاق ويبقى بعد فنائهم، الله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه»[1]، وردت في العديد من المعاجم اللغوية، ففي لسان العرب لابن منظور هي: «صدر من الفعل (ورث) الذي يدل على المال الذي يورثه الأب لأبنائه" [2]، بمعنى انه مرتبط تماماً بما يخلفه الشخص لورثته، ومن هنا يبدو أن أصل كلمة"تراث"من "ورث"و"راث"فأبدلت الواو تاء، فأصبح "تراث"، وهذا ما نلمسه عند اللغويين وتفسيرهم لحرف التاء في لفظ تراث إلى أصله واو وعلى هذا يكون اللفظ في أصله الصرفي (وراث) ثم قلبه الواو لثقل الضمة على الواو»[3].

ويرى "عبد السلام هارون"«بأنه لا توجد للكلمة مادة معينة في المعاجم اللغوية العربية، بل هي مأخوذة من مادة "وَرَثَ"التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه، من والد أو قريب أو موصٍ أو نحو ذلك»[4].

---

[1] أحمد محمد سالم:"إشكالية التراث"، رؤية للنشر والتوزيع، مصر (د، ط)، 2010، ص 30.

[2] ابن منظور(جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري): "لسان العرب" ،مادة (و.ر.ث) مج 6، ج 53، دار المعارف، (د ط)، القاهرة، د ت، ص 4809.

[3] عابد الجابري: "المغرب المعاصر"، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط 1، 1988، ص22.

[4] عبد السلام هارون: "دراسات نقدية في التراث العربي"، دار السلفية لنشر العلم، مصر، ط1، 1988، ص 77.

ترددت هذه الكلمة في التنزيل الحكيم في عديد المرات، قال تعالى إخباراً عن النبي زكريا ودعائه لربه﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾[1]، وهي هنا تعني يبقى بعدي فيصير له ميراثي، وأيضاً في الآية 89 من سورة الأنبياء يقول تعالى: ﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾،وبمعنى الميراث أيضاً وأكل مال الوارث بغير وجه حق ولا يسألون إن كان حلال أو حرام في ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا**﴾[2]، ويمكن أن نورد قصة الصحابي الجليل أبي هريرة حين خاطب الصحابة رضي الله عنه وعنهم بقوله: «أنتم هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يوزع في المسجد ...فلما انطلقوا إلى المسجد اندهشوا، إذ لم يجدوا سوى حلقة الذكر وتلاوة للقرآن فأوضح لهم أبو هريرة رضي الله عنه أن هذا هو ميراث محمد عليه الصلاة والسلام»[3]. فالذي كان فعلياً في المسجد هو ذلك العلم والتوجيه الذي يتدارسه الصحابة، إذ الأنبياء لم يورثوا الدراهم أو المتاع بل العلم والدين.

***اصطلاحا**:وعن مفهوم التراث اصطلاحا يرى أحد الباحثين انه في حديثنا عن التراث «فنحن نشير إلى مجموعة من الأشكال أو السلوكات، انحدرت إلينا من الأجيال السابقة، وفي نطاق التراث تتساكن المنجزات على مستوى واحد، لا يضاف أي قسم منها إلى شخص بعينه ولا يمتاز جزء عن الأخر بكونه أقدم وأعرق، وبالتالي تعني كلمة تراث كل ما هو موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة: العادات، الأخلاق، الآداب التعابير والتنظيمات وهذا المعنى هو بالضبط ما تؤديه كلمة تراث»[4] على ما يبدو أن التعريف السابق يركز بشكل خاص على ما هو معنوي غير مادي،في حين التعريف التالي والذي أورده"سعيد سلام "في كتابه "التناص التراثي" يبدو أشمل إذ يشير إلى أن مفهوم التراث عند المشتغلين به من العرب اليوم «هو مجموع الإنتاج الفكري الحضاري والتاريخي الذي ورثته الإنسانية جمعاء والذي يتمثل في الآثار المكتوبة سواء كانت أثرية ...التي حفظها لنا التاريخ كاملة أو مبتورة، أو بمعنى آخر ما يتعلق

[1]سورة مريم: الآية، 6.

[2]سورة الفجر، الآية، 19.

[3]أكرم ضياء العمري: التراث المعاصر، دار الشؤون الدينية، قطر، (د ط)، 1986، ص 27.

[4]عبد الله العروي:" ثقافتنا في ضوء التاريخ "، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1988، ص 192.

بتراث الأمة من مخطوطات ومن اللوائح الفنية التي تبرز حضارته، وتدل على تراثها الماضي»[1]، فالتراث بهذا المعنى يشكل كل ما هو مشترك بين جميع الأقطار العربية عموماً.

لا يفوتنا أن ننوه لتشابه هذا المصطلح مع معنى الذي تدل عليه كلمة" فلكلور"(folklore) ذات المدلول المقارب، «وهو اسم اصطلاحي منحوت من أصلين لاتينيين هما"folk"وتعني الناس والشعب و"**loro**"وتعني الحكمة أو المعرفة فيكون بذلك:"حكمة الشعب"أو"معرفة الشعب»[2] ويُعنى هو الأخر بالتراث في شقيه المادي والمعنوي فكلاهما يعبر عن ذلك المخزون الثقافي المتنوع – سواء الفكري أو المادي – الذي يتوارثه الناس عبر الأجيال، وبذلك يكتسب صفة البقاء والديمومة والاستمرارية.

2) مفهوم الثقافة:

تعدّ لفظة الثقافة من بين أكثر المصطلحات التي أُختلف فيها وصعُب تحديد مفهوم شامل لها إذ أن تعريفها خضع لاختلاف المنظور الذي انطلق منه كل دارس قديماً وحتى حديثاً وسنحاول استعراض بعض التعريفات علنا نصل إلى مفهوم يستوفي معالم كلمة الثقافة.

***لغة:**بداية نورد ما جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور"في مادة (ث، ق، ف) «يقال ثقفت الشيء وهو سرعة التعلم»[3]. وأورد "مالك بن نبي" في كتابه"مشكلة الثقافة"* أن العلامة " فريد

---

[1]سعيد سلام:" التناص التراثي "دار أربد، الأردن، (د، ط)، 2010، ص 16.

[2]www.lovdz.com/v6/shomthread.php25091brahimston.blogsot.com

[3] ابن منظور:" لسان العرب"،مادة (ث.ق.ف)، ص 492.

* "مشكلة الثقافة "كتاب لصاحبه "مالك بن نبي ترجمه "عبد الصبور شاهين" والصادر عن دار الفكر في دمشق سنة 1984 على مدار 152.صفحة، تناول فيه الكاتب عديد المفاهيم والأفكار الخاصة بالثقافة وتباين مفاهيمها انطلاقاً من زوايا النظر إليها، فمن خلال إهداء الكاتب يتضح مغزى وهدف والمضمون العام للكتاب، إذ جاء فيه "إلى الشباب المتطلع إلى العودة بالمجتمع الإسلامي إلى حلبة التاريخ"، فهو يرى أن مشكلة الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب وإنما أشياء أعم من ذلك، تخص أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في المجتمع من ناحية أخرى، يقول الكاتب أنه أراد في كتابه هذا أن يُلم القارئ العربي في نظرة واحدة بمشكلة الثقافة من جوانبها الكلاسيكية مع جانب من وجهات نظر جديدة، ويدرك العناصر الأولية في الثقافة إدراكاً أكثر عمقاً، ويوضح أنه بقولنا أن لمشكلة الثقافة في مجتمع معين نوعيتها يمنعنا أن نستورد لها حلاً طبقه مجتمع آخر، دون أن نحتفظ في النقل أو الاسترداد سواء تقلد هذا الحل

وجدي" يقول في دائرة معارف القرن العشرين، في المجلد الثاني: «ثقف يثقف ثقافة:فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أخذه، وثقفه يثقفه ثقفاً:غلبه في الحذق والثَّقيف:الحاذق الفطن»[1]ويضيف"مالك"أن كل القواميس تأخذ عن بعضها وتكرر نفس المعنى وهي في القواميس الحديثة بمعنى«ثقف ثقافة:صار حاذقاً خفيفاً، وثقف الكلام فهمه بسرعة»[2] وللكلمة ورود في التنزيل الحكيم وبالضبط في الآية 191 من سورة البقرة ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾[3].

لكننا ونحن نحاول تعريف هذه الكلمة نجد أنها بحاجة إلى كلمة أجنبية كما يقول مالك بن نبي:«لتقترن بها ...أو بعبارة أخرى تحتاج لتنزل في اللغة العربية إلى عكاز أجنبي مثل(culture)»[4] كي تتضح وتنتشر باعتبار أنها لم تكتسب بعد مفهوماً واضحا.

وما يلاحظ هو تطور مدلول هذه الكلمة مع الوقت، إذ امتدت مدلولا أوسع وأرحب"فمجدي وهبة"يشير إلى أربعة معاني للثقافة منها:

_ الثقافة هي رياض الملكات البشرية والتي تتجسد في مختلف الإنجازات.

_ الثقافة ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الفنون والآداب الجميلة.

_ تعد سمة من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات"[5].

صبغة شيوعية أو تقليداً غربياً، ويخلص في الأخير أنه ما إذا أدرك المثقف العربي المسلم مشكلة الثقافة من هذه الزاوية فسوف يُمكنه أن يدرك حقيقة الدور الذي يُناط به في حضارة القرن العشرين (ينظر: الكتاب).

[1] مالك بن نبي:" مشكلة الثقافة "، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984، ص 19.

[2]المرجع نفسه: ص 19.

[3] سورة البقرة: الآية، 191.

[4]مالك بن نبي:" مشكلة الثقافة "، المرجع السابق: ص 25.

[5]ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس:"معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب"، مكتبة لبنان، ط 2، 1994، ص 123.

* **اصطلاحا:** لا شك أن مفهوم الثقافة في شموليته يمتد إلى كثير من المفاهيم المتداخلة والتي تتشعب وتمتد عبر تعاقب الحضارات وهو ما يوضحه رالف لنتون**(Ralph Linton)**إذ يقول: «الثقافة (كُلٌّ) تتداخل أجزائه تداخلاً وثيقاً ولكن من الممكن أن نتعرف على شكل بنائي معين، أي نتعرف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكون الكل»[1]، ولا يمكننا الإلمام بهذا المفهوم الذي ينساب كما الماء في راحة اليد، إنه عبارة غنية بعناصرها المختلفة، إذ يحوي جوانب مادية وأخرى معنوية وما تعريف الأنثروبولوجي البريطاني إدوارد بارنات تايلور **(Edwardburnettyor)** في القرن التاسع عشر إلا دليل على ذلك وهو يقول: «الثقافة مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات، والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع»[2]، وليتضح المعنى أكثر ربما نجد فيما يراه وليام أو جبر**(William Fielding Ogburn)** وهو يُفَّصل في الأمر أكثر من خلال تفريقه محتوى الثقافة إلى مجالين يطلق على أحدهما (الثقافة المادية) وعلى الآخر (الثقافة المتكيفة) يضم الأول مجموع الأشياء وأدوات العمل والثمرات التي تخلقها والثاني الجانب الاجتماعي كالعقائد والتقاليد والأفكار واللغة الذي ينعكس في سلوكاتالأشخاص[3]، يمكن القول أن الثقافة إذن «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته».[4]

لا يعد اختلاف المجالات التي انطلق منها الدارسون في تقديم مفهوم الثقافة وحده المسؤول عن تباين النتائج والتعريفات المتوصل إليها، بل كان للخلفيات السياسية دورها في ذلك، حيث

[1] مالك بن نبي:"مشكلة الثقافة "، ص 30.

[2] يسمينه شرابي:" الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين»، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، دراسات أدبية ولغوية، إشراف: على لطرش، الموسم 2012/2013 ص 11.

[3] ينظر: مالك بن نبي:مشكلة الثقافة، ص 31.

[4] المرجع نفسه، ص 74.

ترى المدرسة الغربية عموماً «أن الثقافة هي ثمرة الفكر؛ أي ثمرة الإنسان، تقابلها المدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة هي ثمرة المجتمع»[1] ومهما كان الاختلاف بين المدرستين لكنه في نهاية المطاف يصب في مسألة تطور هذا المصطلح بتطور الزمن ليأخذ دلالات جديدة.

قد يتبادر للذهن ذلك التقارب الكبير بين مفهومي الثقافة والعلم، بالنظر للمدلول اللغوي لهذا الأخير لذا نورد فيما يلي: ما ينفي هذا الطرح على لسان إدوارد هوريو**(Edward Hurgh)** الذي كان عميد كلية الآداب في"ليون" ورئيس البرلمان الفرنسي، عندما طرح عليه سؤال: ماهي الثقافة؟ في إحدى لقاءاته من طرف أحد الصحفيين بقوله بأنها ما تبقى عالقاً في الأذهان، عندما ننسى ما تعلمناه على مقاعد الدراسة والجامعات.

لقد فصل مالك بن نبي في هذا القول* إذ يقول أنه رغم عفويته إلاّ أنه يضع بين المفهومين حداً فاصلاً.

بعد كل ما قيل في مفهومي التراث والثقافة اللذان يقوداننا إلى معرفة العلاقة التي تربط بينهما، نجد أن كلاهما مكمل للآخر ونصل الآن لمفهوم يجمعهما وهو "التراث الثقافي"والذي إنما يشير لتلك «الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما ثم طرأ على هذا المجتمع تغيير، إذ انتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر

[1]ينظر المرجع نفسه: ص 37.

* ويضرب مثال على ذلك بطبيبين من جنسيتين مختلفتين (أمريكي ومسلم) إذ رغم تحصلهما على الدرجة العلمية والمعلومات نفسها إلا أننا سنجد سلوكهما اليومي مختلفاً تماماً، وذلك كما يرى راجع لاختلاف التركيبة الثقافية التي نشأ كل منهما في كنفها، لان سلوك الإنسان يجسد صورة من الواقع الثقافي الذي أنتجه ولو تعلق الأمر بالطبيب الأمريكي مع راعي أمريكي أيضاً فساعتها سنلاحظ تطابقاً في السلوك وفي المعتقدات ، وكذا الممارسات اليومية هذا برغم التفاوت في الدرجات العلمية بينهما وذلك يعود لكونهما ثمرة الثقافة نفسها، ويخلص في النهاية إلى أن الثقافة نظرية في السلوك أكثر منها نظرية في المعرفة، وهي التي تميز المجتمعات وتشخص هويتها وذلك عبر الاختلاف الذي تنتجه الثقافة ولا ينتجه العلم. (ينظر: لويزة لعمري:"نظرية الثقافة عند مالك بن نبي" دراسة تحليلية نقدية مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير كلية الآداب واللغة، تخصص اللغة الأدب العربي فرع النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، تاريخ المناقشة،31 /2014/12، ص 32.

حداثة لكنها لا تزال مستمرة في المجتمع ومتداولة بين أفراده يحافظ عليها ويتمسك بها»[1] وبعد أن بدأت ملامح هذا المفهوم تتضح يمكن أيضا أن نورد ما جاء به"محمد رياض وتار"إذ يرى أنه مجموع وحصيلة خبرات السلف الاجتماعية والمادية وكذا الفكرية عبر قوله: «الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، واللغوي وغير اللغوي الذي وصل إلينا من الماضي البعيد أو القريب»[2]وهكذا يتضح المفهوم شيئاً فشيئاً.

فالتراث الثقافي إذن ركن من أركان الهوية إذ تُعرف بها المجتمعات، فهو يعطي لكل واحد منها صبغته المميزة الخاصة به، من نمط اجتماعي وثقافي وحضاري وفكري، وفني وكذا اعتقادي ديني.

ثانياً: مفهوم وعي الذات

1-الوعي:

يرتبط هذا المفهوم كثيراً بعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، وعلنا ونحن نحاول الوصول إلى مفهوم يستوفي جوانبه المتعددة نعرج على نقيضه وهو (اللاوعي) باعتباره المؤسس الأول للتحليل النفسي وذا صلة مباشرة به، وبداية سنسلط الضوء على هذه الكلمة من معناه اللغوي.

[1]يسمينه شرابي:" الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين "، ص 12- 13.

[2]محمد رياض وتار:"توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د، ط، 2002، ص 21.

***لغة:** أصل كلمة وعى، يعي، فهو واعٍ، وردت الكلمة في باب (وعى) وعى الشيء والحديث يعيه وعياً وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله فهو واعٍ، ويقول الجوهري في قوله تعالى في سورة الانشقاق: الآية،23 ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ**﴾[1]،يوعون بمعنى"يضمرون في قلوبهم"[2]، ويرتبط الوعي بلا شك بالتأمل والتدبر والإدراك وسبر أغوار الأمور ومكنوناتها وأبعادها.

***اصطلاحاً:** لقد وجدنا أنفسنا ونحن بصدد هذا المفهوم أمام معوقات تتعلق بقلة أو ندرة الدراسات التي تعرضت لهذا الجانب خاصة الأدبية منها، لذا ركزنا على ما جاء به دارسو علم النفس على أن ننفذ إلى أعماق هذا المفهوم في حينه، ومنهم عالم النفس وليم جيمس(**WilliamJames**) وكذا فرويد بنظرية اللاوعي، والذي يعد أول من أخضع الأدب للتفسير النفسي فاتحا المجال للفنان حتى يلج فهماً مختلف عن الوجود والنفس البشرية عبر اللاوعي الذي يعتبر أساساً في العمل الأدبي والفني، وذلك الصراع بين الرغبة اللاواعية التي تبحث عن إرضائها والرقابة الواعية كما يرى فرويد.

لقد جاء في معجم مصطلحات نقد الرواية على أن الوعي هو «الانسياب المتواصل للأفكار داخل الذهن»[3]حيث تكون الأفكار متسلسلة واضحة منظمة لا يشوبها خلط ولا تشويش والوعي كما يرى روبرت همفري(**Hubert H. Humphrey**) «يدل على منطقة الانتباه الذهني التي تبتدئ من منطقة ما قبل الوعي وتمر بمستويات الذهن والاتصال بالآخرين، وهذه المنطقة الأخيرة هي التي تهتم بها القصص السيكولوجية تقريباً»[4]، يرتبط الوعي في العمل الروائي بالواقع؛ وذلك أن انعكاسات هذا الأخير على الحياة النفسية للشخصيات الروائية،باستطاعتها إنتاج وعي شعوري، «هو من صميم طبيعة العلاقة القائمة بين الشخصية والمحيط، وبحكم

[1] سورة الانشقاق: الآية، 23.

[2] ابن منظور:" لسان العرب"، ص 338.

[3] لطيف زيتوني:" معجم مصطلحات نقد الرواية "، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002، ص 66.

[4] روبرت همفري، "تيار الوعي في الرواية الحديثة "، تر: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر، (د ط)، 2000، ص 23.

علاقات التأثير والتأثر بين الاثنين، يمكن للحياة الشعورية للشخصية الروائية، أن تتسم ببعدها الواقعي أولاً وإحداث نوع من تداعي الأفكار الكامنة في اللاوعي ثانياً»[1]، نلمس إذن ذلك الاحتكاك الكبير عبر علاقة التأثير والتأثر بين تيار الوعي والمحيط والواقع الذي يعيش فيه الكاتب ليقدم في الأخير منجزاً يجد فيه المتلقي نفسه، ويمكن أن نصل في نهاية المطاف إلى ذلك التشريح الوافي التي قدمه" فتحي بوخالفة" عن العلاقة بين الوعي والعالم الاجتماعي الفني حيث يقول«غالباً ما يتبع الوعي تعابير معينة أو سلوكات واقعية...تمثل صورة الوعي في الذهن، والعلاقة بين الوعي وتصوير الواقع الاجتماعي فنياً هي انعكاس بصورة فنية بعد انعكاسها على الوعي؛ إذ أن العالم الاجتماعي الفني يمر بثلاث محطات أساسية:

المحطة الأولى هي صورة العالم الاجتماعي كما هو في واقعيته، والمحطة الثانية هي انعكاس العالم الواقعي على صفحة الوعي، والمحطة الثالثة هي تحول العالم من حالة الوعي إلى حالة التجسيد الفني»[2] نفهم من هذا أن الوعي يشكل سلسلة كل حلقة منها تؤدي وتأثر على الأخرى بلا شك.

2-مفهوم الذات:

ونحن نحاول الوصول لمفهوم الذات علينا أولاً الرجوع للدراسات الأولى التي اهتمت بهذا المصطلح والتي ستحيلنا إلى العصر اليوناني، فقد شغلت الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع عدداً من المفكرين والفلاسفة اليونان، أما في عصرنا الحديث فلقيت اهتماماً موسّعاً في نطاق الفلسفة بصفة عامة ففي نظرية المعرفة وفيالمعجم الفلسفي «تُرجم مصطلح الذات بالماهية "وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود ومنه التعبير الشائع"الوجود الماهية»[3]،لا شك أن ما يحمله الفرد من مفهوم حول ذاته له دور كبير في تحديد سلوكه

[1]فتحي بوخالفة: "التجربة الروائية المغاربية "دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة"، عالم الكتب الحديث، (د، ط)، أربد، الأردن، 2010، ص 279.

[2] المرجع نفسه: ص 495.

[3]مجمع اللغة العربية: "المعجم الفلسفي"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، د، ط، 1983م، ص87.

وشخصيته إذ يتصرف انطلاقاً منه، حيث أن مفهوم الذات هو الذي يميز الإنسان عن غيره من كل الكائنات، فالإنسان بالذات هو الوحيد الذي يمكنه إدراك ذاته.

***لغة:**لقد كان لهذه الكلمة حضور في التنزيل الحكيم حيث وردت في قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]، وهي في الآية الكريمة بمعنى أن كل حُبلى تضع مولودها، ولها ورود أخر في:

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2]، أي أن الله عليم بما هو موجود وخفي داخل الصدور، كما ورد لفظ الذات في المعاجم ونأخذ منها ما تم وروده في المعجم الوسيط" ذات مؤنث ذو بمعنى صاحب يقال: «هي ذات مالٍ وذات أفنان ومثناها ذواتا وجمعها ذوات...وذات الشيء حقيقته وخاصته ويقال، عيب ذاتي جِبِلِي وخلقي و(الذات) النفس والشخص ويقال في الأدب نقد ذاتي ...(ذات الصدر) سريرة الإنسان»[3]، واللفظ مرهون بالإنسان دون غيره فنحن لا نقول ذاتاً لغيره.

***اصطلاحا:**يعرف علماء الاجتماع الذات على أنها «بناء يفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق التكامل والاتصال بين خبراتنا جميعا أي الأساس الذي يجمع في مُنَظمٍ ومتصل»[4] فالذات بهذا الشكل هي وسيلة للاتصال لمختلف نشاطات الأفراد في إطار جماعي، ولو تتبعنا ماورد في"موسوعة العلم والتحليل النفسي"لوجدنا أن «مفهوم الذات هو فكرة الفرد عن ذاته، وما هي الفكرة التي يكوّنها الفرد عن نفسه في ضوء أهدافه وإمكاناته، واتجاهاته، نحو هذه الصورة ومدى استثماره لها في علاقاته بنفسه أو بالواقع»[5]، وبالإضافة لذلك يمكن القول أن مفهوم

[1] سورة الحج، الآية 02.

[2] سورة الأنفال، الآية 43.

[3]معجم اللغة العربية: "معجم الوسيط"، مكتبة الشروق العربية، مصر ط4، 2004م، ص 337.

[4]مصطفى سويف وآخرون: "معجم العلوم الاجتماعية"، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1975م، ص 279.

[5]فرج طه، شاكر قنديل، وآخرون: "موسوعة علم والتحليل النفسي"، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993م، ص 745.

الذات هو«المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسمياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً في ضوء علاقاته بالآخرين وهو قابل للتعديل تحت شروط معينة وهذا المفهوم هو النواة التي تقوم عليها الشخصية»[1]ومن خلال هذه الإشارات والتعريفات المختلفة التي مرت معنا يتضح أن مفهوم الذات ينشأ من العلاقة بين الذات المدركة والبيئة المحيطة بالفرد بشكل خاص، وهو ما يراه الفرد بداخله عن نفسه وكل ما يشكل عالمه المحيط به كالعائلة والمدرسة والشارع وغيرها وبالتالي التصرف على أساسه، أما"نيتشة فريديريك"**(friedrichnietzsch)**«فيرى أن على الفرد أن يكون متحررا من كل العوائق النفسية والاجتماعية وباقي المؤثرات والظروف الأخرى حتى يحقق الإنسان ذاته»[2].

ولعله يمكننا الاستئناس بما ورد في إحدى الدراسات التي تُعرف مفهوم الذات بأنه: «مجموعة من الأبعاد والتصورات التي يراها الفرد في نفسه من خلال مجموعة من الصفات أو السمات أو الخصال الشخصية والانفعالية والدينية والاجتماعية والتحصيلية وسمات الإنجاز والارتباط والقيادية والمشاركة الاجتماعية والأسرية»[3].

وما يمكن استنتاجه أو استخلاصه كتعريف إجرائي مما سبق أن مفهوم وعي الذات بلا شك واسع ومتشعب بتعدد دلالاته إذ يصعب حصره في تعريف واحد يحيط بكل جوانبه، وبالرغم من ذلك وكمخرج أو كتعريف إجرائي يمكننا اعتبار هذا المفهوم، كل شيء يمكن أن يكون له أثر أو دور في تلك الفكرة التي يكوّنها الفرد عن نفسه وعن هويته وارتباطه بمحيطه وكذا وإمكاناته وقدراته والتي يكون لها دور هام في بناء شخصيته الخاصة.

[1]محمد عبد المقصود: "فاعلية كل من الإرشاد النفسي الفردي والجماعي في تعديل مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين المصابين بشلل الأطفال"، كلية التربية، جامعة طنطة، مصر، ص56.

[2] عبد الرحمان بدوي:"موسوعة الفلسفة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط)، 1984، 141.

[3]نيرة عز الدين: "مفهوم الذات لدى الأطفال المرضى بالقلب الناتج عن الحمى الروماتزمية في المرحلة العمرية من 11-15عام من الجنسين"، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، مصر، ص 11.

ثالثاُ: مفهوم الشخصية:

اختلفت نظرة النقاد والروائيين وتباينت في إعطاء مفهوم واحد موحد للشخصية في الرواية كما اختلفت وجهات النظر انطلاقاً من اختلاف الأبحاث والدراسات والكتابات الروائية لذا سنحاول رصد بعض التعريفات لهذا الركن المهم في الرواية.

***لغة:**وردت هذه المفردة من الجذر اللغوي العربي (ش، خ، ص) بمعنى برز وظهر وارتفع وفي لسان العرب لابن منظور: «شخص الفتح شخوصا: أيارتفع»[1].

وكذلك لها حضور في معجم الوسيط إذ هي: «تلك الصفات التي تميز الشخص عن غيره، ويقال فلان ذو شخصية وذو صفات متميزة، وإرادة وكيان مستقل»[2]، كما ورد في المعجم نفسه «شخص الشيء شخوصاً، ارتفع وبدا من بعيد، والسهم جاوز الهدف من أعلاه وشخص الشيء عينه وميزه عما سواه ويقال شخص الداء وشخص المشكلة»[3] وللكلمة ورود في التنزيل الحكيم حيث يقول الله تعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾[4].

***اصطلاحا:** تعد الشخصية أبرز وأهم عناصر أي بنية سردية كما تعتبر من أكثرها حضوراً وبروزاً في الدراسات الحديثة، فهي بمثابة النقطة المركزية الأساسية التي تتقاطع عندها كافة العناصر الأخرى المكونة للعمل الأدبي؛ إذ هي عنصر حيوي في تشكُل هذا المنجز أدبي على اختلافه سواء كان حكاية أو قصة أو مسرحية أو رواية وقد ظلت منذ العصور عرضة للتباين والاختلاف والدراسة، حيث يشير "أ،غريماس**(Algirdas Julien Greimas)** إلى أن الشخصية «مجموعة العوامل التي تبقى وفق منظومة معينة وأن هذه الشخصية يمكن أن يؤديها

[1]ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش خ ص) ص 45.

[2] إبراهيم مصطفى وغيره:"المعجم الوسيط "، تح: مجمع اللغة العربية، دار العودة، ج1، ص 475.

[3] المصدر نفسه :475.

[4] سورة الأنبياء، الآية 97.

عدد لا نهائي من الممثلين»[1] يربط "غريماس"من خلال تعريفه الشخصية بالعامل؛ أي أن العبرة بالفعل الذي يشكل مقياساً في اعتبار هذه الأخيرة، ويرى"سعيد يقطين"أيضاً أنها «أهم مكونات العمل الحكائي لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي لذلك لا غرور أن نجدها تحظى بالأهمية القصوى لدى المهتمين والمنشغلين بالأنواع الحكائية المختلفة»[2]، كما تتنوع هذه الشخصيات داخل إطارها الحكائي عاملةً على تحريك ونمو الأحداث في شكل منطقي مقنع يجعل العمل الأدبي مرآة عاكسة للواقع، «فهي التي تثبت أو تستقبل الحوار وتضع المفاجأة وهي التي تنجز الحدث والشخصية تنهض بدور تضخيم الصراع أو تنشيطه»[3].

إذن الشخصية هي إحدى الدعامات الأساسية في الرواية، والتي تتكئ عليها في تعبيرها عن رؤيتها، كما تضطلع بكونها نقطة التقاء لجميع مكونات العمل الأدبي إذ تتمحور حولها جميع الوظائف والعواطف وهي وجه ثاني للشخصية في الواقع المعاش، مع وجود اختلاف كون الشخصية في الرواية ورقية تخييلية مبنية على عبقرية الكاتب ومهاراته الفنية ولمساته الإبداعية.

[1] ناصر الحجيلان:"الشخصية في قصص الأمثال العربية"، النادي العربي، الرياض، ط1، 2009، ص 70.

[2] سعيد يقطين:"قال الراوي"، البنية الحكائية في السير الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1997، ص 87.

[3] عبد الملك مرتاض:"في نظرية الرواية"، بحث في تقنيات ومفاهيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (د ط)، 1998، ص 107.

الفصل الأول

تجليات الموروث الثقافي في رواية " لبيك حج الفقراء"

أولاً: الموروث الديني

يعدّ الموروث الثقافي الديني مصدراً وموروداً هاماً يلجأ إليه الكتاب المبدعون، وذلك بتوظيفه عبر نماذج لشخصيات أو موضوعات من صميم التراث الديني* بغية ربط أممهم بدينهم والاعتزاز به وبرموزه، ومما لاشك فيه أن الحديث عن التراث الديني لا يخص فقط الدين الإسلامي الحنيف لأن الكاتب عموماً لا يأنف أن يستعمل رموزاً لديانات أخرى، لكننا في حديثنا اليوم، ستقتصر على الموروث الديني ذا الطابع الإسلامي على اعتبار مغزى المفكر"مالك بن نبي"من كتابتها في ظرف كانت الجزائر فيه تقبع تحت نير الاستدمار الذي قضى على كل مقومات المجتمع العربي الجزائري المسلم خاصةً منها الدينية؛ ولا أدل على ذلك من تحويله لكثير من مساجد الوطن إلى مكان خاص بالحيوانات (إسطبلات) إلى جانب تغذيته للنزعات الطائفية الدينية.

ونحن بصدد التحدث عن هذا الموروث الذي حوته هذه الرواية لصاحبها الكاتب"مالك بن نبي"وطريقة توظيفه، وجدنا أنفسنا في حيرة إن كنا سنتناولها باعتبارها كباقي المنجزات الأدبية، أم كأدب إسلامي بالنظر إلى مضمونها وغايتها وكذا مظاهر الالتزام التي طبعتها على مدار مائة وست وخمسين صفحة، أو انطلاقاً من شخصية صاحبها الذي يعتبر من أهم فلاسفة ومفكري العصر في الجزائر والوطن العربي الإسلامي قاطبة.

إن المتصفح لهذه الأثر الأدبي المهم أول ما يلفت انتباهه هو ذلك العنوان"لبيك حج الفقراء"فلا يمكن أن يتبادر إلى الذهن سوى الركن الخامس من الإسلام، وشعيرة أساسية من

* تجدر الإشارة ونحن نتحدث عن الموروث الديني وطوال هذا الفصل حرصنا على عدم إيراد وإدراج أي آية من القرآن الكريم كموروث ثقافي وديني باعتبار هذا يتنافى بلا شك مع قدسية التنزيل الحكيم الذي هو كتاب الله تعالى ولا يمكن أن نطلق عليه تراثاً أو موروثاً لذا كان يجدر التنبيه على هذه النقطة وهو أيضاً ما يذهب إليه محمد إقبال عن القرآن الكريم والسنة النبوية "هما لا يمكن اعتبارهما موروثي، وذلك أن الموروث نعني به كل إنتاج أنتجته الذهنية الإسلامية أما القرآن والسنة فيمثلان الوحي الإلهي الذي لا يحصره زمان ولا مكان»(محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي، دار العطاء المكتبة السلفية 1986، ص 92.

شعائره ألا وهي الحج، أين يترك فيها المسلم حياته وماله هاباً عائداً إلى الله فاراً من ذنوبه طالباً الصفح من ربٍ غفور، راجياً العودة إلى أهله كما ولدته أمه «لبيك إنه هتاف الأرواح التي تقشعر عند سماع نداء هجرة ميمونة ...في كل عام يترك المؤمنين قطعانهم وحقولهم، ومتاجرهم أو خيامهم وينفصلون عن عائلاتهم للالتحاق بالرحلة المبرورة التي تقوم بها الأرواح المؤمنة»[1]، إلى أن يقول واصفاً الحجيج وتلك السعادة التي تغمر قلوبهم وأرواحهم مع كل قطار لضيوف الرحمان يمر عليهم «يشعرون بأنه نسمة من رَوْح الجنة وريحانها، وبشرى بالرحمات لعباده المخلصين فيزدادون بذلك إيماناً على إيمانهم»[2] الإحالة نفسها يوحي بها منهجه في اختيار أسماء شخصياته الورقية بداية ببطلها" إبراهيم" الذي يحمل رمزية دينية تيمناً بالنبي إبراهيم الخليل عليه السلام وكذا العم"محمد" نسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والهداية إلى الطريق المستقيم التي أشتق منها اسم الطفل"هادي"وذلك انطلاقاً من أنه لكلً من اسمه نصيب.

يستفتح الكاتب منجزه الأدبي بذكر التقويم الخاص بالمسلمين، واختلاف مواقيت موسم الحج بتعاقب الأجيال إذ يصادف في فترة معينة فصل الصيف لكنه يصادف فصل الشتاء بعد عقدين من الزمن «إن التقويم القمري بجعل الأعياد والتقاليد الإسلامية تتعاقب منذ ثلاث عشر قرناً على مختلف مراحل السنة ففي عائلة ما حيث يكون الأب قد أدى فريضة الحج بالأرض المقدسة في فصل الصيف بإمكان الابن أن يؤديها في عزّ الشتاء»[3]، وفي المضمار نفسه وعبر تلك العلاقة التي تربط شخصيات الكاتب بشعيرة الحج نجدها راحت تردد بلا وعي منها عبارة " لبيك" «لقد فاجأه صوته الشاذ الذي اخترق الصمت لكن روحه واصلت ملاحقة حلمه الذي أقحم فيه كل ما يعرفه من مفاهيم عن الحج إذ تعد هذه المعارف جزءاً من ميراث كل

[1] مالك بن نبي: "لبيك حج الفقراء"، تر: زيدان خوليف، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص 28.

[2] المصدر نفسه: ص 29.

[3] المصدر نفسه: ص 27.

عائلة مسلمة إنّ أجيالاً من الحجاج حملوا من مكّة انطباعاتهم ومفارقاتهم وبذلك كونوا جزءاً مهماً من التراث الشعبي الإسلامي»[1].

لعل من أهم مظاهر الموروث الثقافي الديني لدى المسلمين هو التصوف إذ تختص به طائفة مؤمنة طلقت الدنيا وتفرغت لإرضاء ربها، يعرفه"ابن خلدون« بعلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وهو طريق الحق والهداية وأصلها العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها » [2]، فرغم حالة الضياع الذي انغمس فيها"إبراهيم"إلا أنه لم يفرط في انتمائه الذي ورثه عن والديه وأسلافه وهو ما نلمسه في الصفحة التاسعة والثلاثين،«إن الإلهام موجود عند الصوفية بل هي أساليب لها طرقها وقواعدها فالمسلم إذا ما احتاج أن يتبين أمراً ما استخار فيه الله ليلهمه عن طريق رؤيا في الحلم لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السلالة الصالحة لأسلافه»[3].

منجزنا الأدبي هذا مليء بالرموز الدينية، ليس فقط لربط المتلقي المسلم بدينه، بل وتعرف الغريب عنه به، لأنه لربما يعود العداء المتوارث للإسلام وأهله عن جهلٍ به، خاصة أن هذا العمل مكتوب بالأساس بلغة الآخر، كما يعود بنا الكاتب لزمن سيدنا موسى «إن طائفة من التفاصيل المتعرجة تبدأ تسرعي اهتمام الحاج بداً من دخوله البحر الأحمر فتذكره تارة بحديث ديني من الماضي وتارة أخرى منسكاً يجب القيام به ...كانت تسمى (حفرة فرعون) حيث التاريخ يشير إلى معبر موسى في البحر الأحمر ويقولون إن فرعون مازال في هذه الحفرة حبيس الدوامة إلى آخر الدهر ....في كل سنة يراقب الحجيج من فوق مركبهم (حفرة فرعون) وبعضهم يدعي أنه حقاً رآه»[4]، كما رأينا توظيف قصة النبي"موسى"عليه السلام مع فرعون الذي أغرقه الله

[1] الرواية: ص 40.

[2] عبد الرحمان بن خلدون:" المقدمة"، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2007، ص 490.

[3] الرواية: ص 39.

[4] الرواية: ص 41.

تعالى لظلمه وجبروته في البحر، إذ من فرط بساطة إيمان الحجيج وتمسكهم بدينهم يعتقدون أنهم قد رأوه فعلاً، يعود"مالك بن نبي"لذكر النبي موسى للمرة الثانية من خلال جبل الطور قائلاً: «يمكن أيضاً رؤية (جبل الطور) حيث كلم الله موسى بالواد المقدس.ورأى بني إسرائيل (القبس)»[1]، لم يكن هذا النبي الوحيد المذكور في الرواية لأنه وبعد عديد الصفحات يأتي على ذكر النبي"نوح"في إشارة بأن الأديان كلها تصدر عن مشكاة واحدة ولغاية واحدة وأن الإسلام ما هو إلا مكمل لهذه الأديان وخاتمة لها «كان الصوت يرتل ...بنبرات مختلفة فكانت ترتفع مرة متضرعة كأنين نوح ومرة مهتزة لعصيان الكفار الرافضين الاستماع إليه»[2].

لا شك أن من أهم المظاهر التي توحي بالبيئة الإسلامية، هو نداء الصلاة وقد أتى الكاتب على ذكره أكثر من مرة في هذا المنجز الأدبي، يخترق مسمع" إبراهيم"وهو يدعو المسلمين لتلبية صوت الأذان وبإضافة عبارة الصلاة خير من النوم عندما يتعلق بصلاة الفجر علها توقظ النائم وتدفعه لأداء هذه الفريضة «فجأة انطلق صوت مؤذن الفجر الذي اخترق السكون الذي يلفّ المدينة النائمة وبثّ في أزقتها الخالية الصدى الداعي إلى الصلاة:الله أكبر! الله أكبر! حي على الفلاح: الله أكبر لا إله إلا الله»[3]، والأمر ينسحب لعبارة التحية عند اللقاء والتي تختلف في العالم الإسلامي عن غيره من المجتمعات وهي: «السلام عليكم»[4]، فالمسلم عند رؤيته شخصاً سواء كان غريباً أو قريباً يبادر بالسلام قبل غيره وهي من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم إذ يكون مطالب بإلقاء السلام على من يعرف ومن لا يعرف، وهذا يوحي بالمحبة والتعايش مع الآخر أياً كان هذا الآخر، ولو سُبق إليه وجب عليه رد السلام بمثله أو بأفضل منه.

[1] الرواية: ص 41.

[2] الرواية: ص 134.

[3] الرواية: ص 50، 51.

[4] الرواية: ص 54.

عاد الكاتب ليوظف التراث النابع من عمق الدين والخاص بالمسلمين وهذه المرة بذكر تلك الأماكن المقدسة التي يهفو قلب كل مسلم لزيارتها من خلال ما ردده: "إبراهيم" لعمه"محمد" إذ قال: «سأدعو لك يا عمي محمد عند شباك النبي، كان ذلك السياج الذي يحيط بالضريح الشريف، كانت هذه أقدس خدمة يمكن أن يقدمها الحاج لغير الحاج بأن يدعو له باسمه وهو متعلق بالسياج هذا السياج المهيب الذي تهفو إليه قلوب كل المسلمين بعبارات مفعمة بالإيمان»[1]، والدعاء للإنسان برحمة الوالدين من بين مظاهر الألفة والمحبة، إذ بمجرد أن يقضي الإنسان حاجة أخيه وحتى دون ذلك، يدعوا لوالديه بالرحمة سواء كانا قد توفياأم على قيد الحياة «فليرحم الله والديك»[2].

أنه من عادة الرعاة قديما حمل العصا وهو ماورد عن النبي"موسى" إذ ارتبط ذكره بالعصا التي يستعملها في الرعي والهش على أغنامه كما أن له فيها مأرب أخرى، وكذا النبي صلى الله عليه وسلم استعمل العصا للرعي وكذلك أثناء الوقوف في خطبه للصلاة ومن بعده انتهج أصحابه نهجه، أتى"بن نبي" على ذكر هذا الإرث الذي بلغ عمره أكثر من أربعة عشر قرناً عبر وصف الرجل حين لم يستطع اللحاق بالعبارة حتى يؤدي مناسك قائلا «أنه كانت بيده عصا»[3].

لم تغفل الرواية الإشارة لبعض أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما اتصف به من سماحة ورحمة بأمته وذلك من خلال رأفته بتلكم المرأة التي كانت تؤدي الصلاة في المسجد وصغيرها يبكي فما كان من النبي عليه الصلاة والسلام إلا أن عجّل في صلاته حتى تتمكن من أخذ صغيرها في حضنها وتسكته»[4]، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرع في صلاته

[1] الرواية: ص 74.
[2] الرواية: ص 74.
[3] الرواية: ص 90.
[4] الرواية، ص 99.

حتى يخفف على الأم التي يبكي صغيرها ، فنحن أيضاً سنعجل في صلاتنا هذا المساء حتى يرتاح" هادي" [1]وكان في هذا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

لقد واجه الحجيج وهو في طريقهم لمكة المكرمة مشكلة أثناء تناول الطعام وذلك عبر تحريهم عن اللحم المُقدم، إن كان حلالاً وليس لخنزير قال إبراهيم: «ليس هذا لحم خنزير ...ليأتيه الرد: أنا متأكد من أن اللحم ليس لحم خنزير فقد رأيتهم يذبحون خرافاً وفقاً للشريعة الإسلامية فقد أخبروني عند الصعود أن الكمية تكفي حتى وصولنا إلى جدة، أضاف الإمام وهو مازال يفحص القطع: منيدري؟ولكن لن نخسر أي شيء إذا ما تأكدنا..... حدقالإمام ببصره في هذا المتفرج غير المتوقع ورأى من واجبه تقديم تفسير لما بدا من شكوك حول الطعام:

«نحن المسلمون لا نأكل الخنزير»[2]، دل قلق الحجاج وترددهم في تناول الطعام وتحريهم الحلال منه، على تمسكهم بدينهم ورفضهم أكل الحرام وهو ما اختصرته عبارة الإمام السابقة.

[1]الرواية: ص 132.

[2]الرواية: ص 103.

وكان للزوايا والطوائف الدينية في الجزائر حضورا في رواية "لبيك"منها الطريقة (التيجانية)* و(الأحباب) وكذا(القادرية)** و(الإخوان) وذلك في« كان الحجاج قد بدؤوا في تنظيم حياتهم اليومية على المركب فمنهم من ينظم إلى مجموعات تشكلت في الجزائر العاصمة، وآخرون يشكلون جماعات جديدة ليتناولوا الواجبات ويتسامروا ويقيموا الصلاة جماعة حتى وصولهم إلى ميناء جدة، عادة تتشكل الجماعات حسب انتماءاتهم إلى مختلف الفرق الدينية:

(التيجانية) و(الأحباب) بعضهم مع بعض و(القادرية) و(الإخوان) بعضهم مع بعض»[1].

ومع اختلاف هذه الطوائف إذ يشكلون مجموعات حسب انتماءاتهم وفرقهم إلا أنهم في نهاية المطاف يجتمعون على أداء هذا الركن الخامس للإسلام، وكلهم قلب واحد ولسان واحد في حضرة نداء الحج لتصبح العلاقة علاقة تعايش واتحاد من أجل غاية أسمى إذ يوضح ذلك

* الطريقة التيجانية: مؤسسها هو أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد سالم التيجاني، وسميت باسمه وهي فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي على الله عليه وسلم مقابلة مادية واللقاء به حسياً في الدنيا وان النبي خصهم بصلاة الفاتح "التي تحتل لديهم مكانة عظيمة، ينظر الموقع الإلكتروني: https://maraje3.com /2012/02/definition- zawiya-tidjania/.18:20الساعة: 2023/02/ 11 تاريخ الاطلاع

**الطريقة القادرية:إحدى الطرق الصوفية من حيث إطلاق تسميتها، ومن حيث تبلورها كمنهج لمدرسة صوفية لها قواعدها وأسسها وأصولها وتعتبر أقدم الطرق الصوفية المعروفة في البلاد، وهي تنسب لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني وسميت بالقادرية نسبة إليه، ويعرفها "مخلف العلي القادري"خادم الطريقة القادرية العلية بأنها منهج تربوى سلوكي يعنى بتزكية النفس من الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وسلامة القلب من الأمراض لنيل رضا الله ومحبته، وقائم على العمل بمقتضى التصوف الصحيح، الذي هو مقام الإحسان، وفق الآداب والقواعد والأسس والأصول التي وضعها مؤسس الطريقة "الشيخ الجيلالي"، ينظر الموقع الإلكتروني:

الرسمي لمخلف العلي القادري الحسيني:

https://alkadriaalia.com play.php ?catsmktba=230/ تاريخ الإطلاع:02/10/ 2023، الساعة 21/11.

[1]الرواية: ص 82.

قائلاً «لم تعد هذه التجمعات تقام حسب الانتماءات الدينية، وأصبح التجمع للتعايش على المركب لا غير»[1].

من كل الذي قيل في توظيف المؤلِف للموروث الثقافي وبالذات الديني يمكن القول في نهاية المطاف أن العمل فعلاً غني بهذا النوع من الموروث منسجم مع طبيعة الفرد الجزائري، فقد جاءت الرواية زاخرة بعبق الدين والحضارة، مما يجعل المتلقي وهو يطالع هذه الرواية يعود لفترة زمنية كانت فيها الجزائر أكثر تمسكاً بهذا الموروث.

ثانياً: الموروث الاجتماعي

إن المقصود بالموروث الاجتماعي هو تلك السلوكيات والأفكار وكذا المعتقدات التي ترسخت في عمق المجتمع من خلال القواعد المجتمعية التي يتوارثها الأفراد ويسيرون في نسقها، ويعتبر الخروج عن هذه القواعد خروج عن العرف والجماعة وإفساد لذلك التناغم الذي بشكل ترابط المجتمع في الأمة الواحدة، ويمكن تقسيم هذا الموروث الثقافي الاجتماعي بشكل عام إلى:

_ **العادات والتقاليد الاجتماعية:** وقدحددها "عبد الحميد بورايو" في:«الأعياد والمناسبات (الأعياد الوطنية والدينية وكذا المناسبات الزراعية وطقوسها)، وأيضاً الخاصة بدورة الحياة (مثل الميلاد، الختان، الزواج، وكذا الوفاة)، إضافة إلى المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة (الاستقبال، التوديع، الضيافة والعلاقة بين الكبير والصغير الفقير والغني الذكر والأنثى...)»[2].

_ **الفنون الشعبية:** وتشمل فنون الاستعراض والرقصات والأهازيج وأزياء والحرف كالنحت...وغيرها وما تحمله من خصوصية نابعة من عمقالمجتمع وتمتد من أزمان غابرة.

[1] الرواية: ص 82.

[2] ينظر عبد الحميد بورايو:"في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات"، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت)، ص 38.

_ **المعتقدات:** هي كما يرى: "فاروق أحمد مصطفى" في كتابه: "الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي"، «ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة... والأفكارأو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بالأفكار الأساسيةكما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية»[1].

_ **الموروثات الشفوية:** وتتعلق هذه الموروثات بما تركه الأجداد من لهجات وحكايات وأمثال وأحاجي وقصص والتي تحمل في طياتها محصلة تجاربهم ونظرتهم للحياة.

إن الناظر في طبيعة المجتمع الجزائري يلمح ذلك الانسجام القوي والتماسك بين مختلف أطيافه رغم الوضعية الصعبة التي يعيشها من فقر واستغلال، إذ لم تغير من طبيعته الخيرة المتماسكة ونلمس هذا في"عنابة" «كانت تعيش في عرس وكانت تستقبل الحجيج الوافدين بالقطارات والذين كانت بواخرهم قد أرست فينتشرون في المدينة للتزود بالزاد الذي يكفيهم للرحلة، أو الصلاة في المسجد»[2]،تغمر الألفة وروح الجماعة مدينة عنابة وهي تستقبل الحجاج، ينتشرون في أرجائها وكأن المجتمع بكامله أسرة واحدة ،وفي ذلك بعدٌ اجتماعي كبير وتعايشٌ في وئام تام وهي من أخلاق الجزائريين حيث يستقبل المقيمون الزوار ويرحبون بهم ويكرمونهم فقد توارث الجزائري المسلم إكرام الضيف والاحتفاء به على ظروفه الصعبة وفقر حاله، فما بالك لو كان هذا الضيف ذاهب إلى ضيافة الرحمان «وكثير من الحجيج تستضيفهم عائلات المدينة حيث تتشرَّف بتقديم آخر الوجبات للمتوجهين إلى البقاع المقدسة، فالحاج ليس ضيفاً عادياً، لذا يجب أن نحفظ أصول الضيافة معه فحتى عجائز الدار المضيفة يخصّصنه باستقبال

[1] فاروق أحمد مصطفى: "الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي" دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، (د، ت)، ص 20.

[2] الرواية: ص 29.

حار مفعم بأجواء عائلية وكلهن حزن شديد لأنهم لم يفزن بسعادة (غسل عظامهن) بماء زمزم»[1].

لقد مرت الجزائر بفترة أقل ما يقال عنها أنها صعبة وقد بين الكاتب من خلال حالة"إبراهيم"ذلك الوضع الذي عانى منها كل أفراد المجتمع، إذ ركز على المهنة التي حصَّلها بعد جهدٍ جهيد ولم تكن سوى مهنة الفحام يتضح ذلك عبر ما ورد في الصفحة الخامسة والثلاثين «غبار الفحم الذي صبغ المكان هناك في الداخل، وفي ركن منه توجد كومة فحم بجانبها أكياس مملوءة لم تفتح بعد أما الغربال وميزان الفحم فقد أكملا تأثيث هذا الجانب من المحل»[2]، يتضح مما سبق مهنة هذا السكير المسكين وحالة فقره وقلة حيلته ، فعمله هذا امتهنه كثير من أفراد هذا المجتمع وقد توارثوه رغم عنهم، من أجل تأمين لقمة العيش لصغارهم في ظرف صعب فرضه المستعمر آنذاك، حتى أن هذه الشخصية كغيرها لا تملك كهرباء وإنما يدبر أمره بالشمع كوسيلة وحيدة للإنارة «تناول علبة الكبريت وبزند عود منها أشعل شمعة وُضعت فوق صندوق حانوته، كان إبراهيم يتوسط المحل الذي كان دكاناً للفحم»[3].

إن أهم العادات والتقاليد التي ميزت المجتمع الجزائري المسلم ما تعلق بالتمسك بالقيم الأصيلة النابعة من عمق هذا المجتمع عبر تماسكه واجتماعه على نمط حياة يمتاز بالمحافظة، ومراعاة الحشمة والسلوك الأخلاقي بين أفراده، إذ ما كان لمجتمع وهذه حاله أن يسمح لشاب أعزب أن يعيش بمفرده خاصة بعد أن طُلق من زوجته التي سئمت عربدته وتصرفاته المخجلة وغادرت إلى غير رجعة، «كانت حياتهما ميسورة، كلها تقوى وانتظام في هذا البيت المقابل الذي يقطنه العم محمد، وفي هذا البيت نفسه كان إبراهيم قد تزوّج، لكنه طُرد منه لأنه لم يعُد مرغوباً

[1] الرواية: ص 29.

[2] الرواية: ص 54.

[3] الرواية: ص 34.

فيه بسبب سوء سلوكه إذ إنّه (زبنطوط)* أي أعزب، بعد أن طلبت منه زوجته الخُلع وحصلت على الطلاق»[1].

وكما يبدوا لم يستحسن الجيران وجوده بينهم بعد طلاقه خاصة مع سلوكه السيئ الذي عُرف به وعدم مراعاته حسن الجوار، فمحاربة السلوكيات الخارجة عن الآداب العامة هي مبدأ لا يحيد عنه المجتمع ويظهر في رد فعل حاد وحاسم لا يمكن التراجع عنه وهو ما جعل العم"محمد"يتدخل ويرأف بحال "إبراهيم"هنا تدخل العم"محمد" ليضع حداً لفضائح"إبراهيم"وعربداته وكان تدخله هذا احترام لجيرانه الشرفاء"[2]،وجد العم حلاً لتذمر الجيران من سلوك إذ قدم له المساعدة وذلك بأن حصل له على متجر ليقيم فيه ليرتاح أهل الحي من تصرفاته، وهنا يظهر التكافل الاجتماعي ومساعدة الأخر بشكل لافت وذلك إذا نظرنا إلى كل ما يقوم به الرجل الطيب كي يصلح حال الشاب المسكين وإحاطته بالرعاية رغم رفض المجتمع له «استطاع العم"محمد"بصعوبة أن يُبقي له المحل ... وعندما صفىَّ إبراهيم أملاك العائلة أظهر نيته أيضاً في بيع البيت إلا أن عمه"محمد" تمكن بجهد كبير من أن يمنعه من ذلك بواسطة مبلغ خصمه من إيجاره ...كي يساعده على إقامة مشروعه الحالي»[3].

لم يتخلى هذا الشيخ الحكيم عن الشاب الضائع وواصل دعمه وإرشاده رغم كل شيء، هذا الشاب الذي لم يحظى باحترام الكبير ولا حتى الصغير، فأطفال الحي كانوا يقللون من شأنه ويعتبرونه غير أهل للاحترام ولا التقدير فببراءتهم وعفويتهم أطلقوا عليه اسم "بوقرعة" كناية عن زجاجة الخمر التي لطالما كان يتأبطها، ولا يُرى إلا وهي معه، فأُلصق به هذا الاسم وصار

* يشير مالك بن نبي في الهامش من الرواية، على أن كلمة زبنطوط من أصل عثماني وتشير في الأصل إلى رتبة عسكرية، ص 45.

[1] الرواية: ص 45،46.

[2] الرواية: ص 49.

[3] الرواية: ص 49.

وسمة عار تلاحقه حتى على أفواه الصبية «قد تنبه إلى وضعه المزري وصل هذا الوضع المخزي الذي يعيّره به صبيان أزقة بونة بلقب"بوقرعة"(صاحب قارورة النبيذ)، فعندما يحكم الوسط الاجتماعي على شخص ما فالأطفال هم الذين يصدرون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسكير بالسكير، فهم القضاة المدافعون عن المصالح والأعراف والتقاليد»[1]، يشرح هذا المقطع بشكل مباشر ودقيق أثر المجتمع وصورته عن أفراده لأنه إذا أصدر حكمه فلا يمكن التراجع عنه بسهولة، فالفرد العربي أو الجزائري المسلم لا يمكنه التنصل من بيئته وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه فهو ملزم بالسير في نسق هذا الموروث الاجتماعي للأمة والمشي على خطاه، ولا أدل على ذلك من شخصية "إبراهيم" وقد انطبع في جبينه كلمة منحرف أو سيء الخلق.

يعيدنا"مالك بن نبي"لمظاهر التكافل والتراحم عبر مد يد الرحمة للمحتاج الفقير التي توارثها المجتمع الجزائري أباً عن جد، هذه السلوكات التي حافظت على تماسك هذه الأمة وتقوية روابطها الأخوية، فالتصدق يتجاوز الميسورين بل حتى الفقير يعبر عن انتمائه ورغبته في المساعدة، تجسد هذا التصرف في «لمح أحدهم إبراهيم وهوعلى حالته تلك، فرجع على أعقابه ليضع في راحة يد إبراهيم قطعة من النقود ضاناً أنه أحد المتسولين»[2] ولم تكن تلك الصدقة الوحيدة التي تلقاها فقد كانت تتوالى من طرف رواد المسجد وهم يغادرون بعد أداء فريضة الصلاة «توالت أفواج أخرى من المصلين في الخروج من المسجد، يتحدثون فيما بينهم، بينما يرمي بعضهم بقطع نقدية إلىإبراهيم»[3].

ثم يفاجئنا الكاتب بذلك التحول الذي طرأ على المعاملة التي حضي به إبراهيمتبعاً لتحول سلوكه هو الأخر وهيئته الجديدة الخالية من السكر، الملتزمة بمبادئها المنتمية لمجتمعها، فكما

[1] الرواية: ص 49،50.

[2] الرواية:ص 54.

[3] الرواية:ص 55.

حكم الأطفال على هذه الشخصية وجعلوها محط سخرية هاهي نظرتهم تتغير بقدر تحسن حاله «وبعد ذلك اتجه إبراهيم إلى بيت ذلك الرجل التقى في طريقه الصبية الذين اعتادوا مطاردته والسخرية منه، تعجب منهم لأنهم لم ينعتوه هذه المرة باسم العار يا بوقرعة»[1]، من هذا يتضح أن المجتمع المتماسك يسعى لنشر القيم الفاضلة ومساعدة أفراده حتى يبدؤوا من جديد إذ يعطي فرصة لمن يرغب في التغير ويقدم له حبل نجاة، حتى لا يبقى فرداً خارج عن السرب ولا يشعر بالاغتراب في محيطه ومجتمعه، وهو ما شعر به إبراهيم لما وجد تلك المعاملة وتسهيل أموره حتى يحقق حلمه ويزور البقاع المقدسة تائباً عائداً إلى ربه «خرج إبراهيم من المحافظة بوجه مشرق متهلل سائلاً الله البركة للمنتخب والمحافظ والموظفين لم يحصل إبراهيم على جوار سفر الحاج المعتاد، بل على شهادة تثبت أن المعني مستوفي لكل الشروط الإدارية»[2].

إن المتتبع للنمط الفكري لعامة الشعب يبين تمسكه بموروثه الاجتماعي والعيش في كنفه، لكن هذا الموروث لا يسير في منحاً ايجابياً دائماً، وإذا تعمقنا في الرواية نجدها قد أماطت اللثام عن بعض التصرفات التي تضم في طياتها سذاجة وجهل وإيمان ببعض الخرافات والخزعبلات انتشرت في أعماق المجتمع، بسبب ضيق أفق بعض العائلات الجزائرية خاصة مع ظروفها الصعبة وقلة حيلتها، والأمر يتجلى بوضوح عند الخوص في تصرفات "زهرة" زوجة"إبراهيم" فرغم حِلمها وصبرها الكبير على زوجها، إلا أنها تزور ما يسمى بالبصارة أو قارئة الحظ وإن كان هذا التصرف يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، فهي تتمنى أو تتوهم أن تجد بعض العزاء، مع أنها تعرف مجانبتها الصواب في هذا التصرف الذي لا يغني عن الحقيقة شيئاً «كانت هادئة لأن (قزانة) أي قارئة الحظ أنبأتها في الصباح أنّ معجزة ستقع في حياتها التي تتألم منها كثيراً، وأن سبب معاناتها سيزول»[3].

[1] الرواية:ص 62.

[2] الرواية:ص 64.

[3] الرواية:ص 47.

تبدوا غاية الإصلاح وتنوير المتلقي من لدن الكاتب عبر خوضه هذا الموضوع أو هذه القضية التي لطالما نخرت الأمة الإسلامية العربية عموماً والجزائرية خصوصاً في الصميم، فذهابها إلى أماكن الشعوذة لم يكن لمرة واحدة أو مسالة عابرة بل الأمر يتعلق بتردد مستمر وهو ما يوضحه المقطع التالي: «كان هذا شغلها الشاغل فكم من مرَّة كانت تنتقل إلى القبّة لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها:فُسوق إبراهيم، فلسنوات عديدة كانت مع (القزّانات) تجدد أمالها»[1].

بعيداً عن السقوط في براثن الجهل والتخلف والأعراف البالية، سنعرج في ما يلي على جانب مهم من الموروث الاجتماعي وهو محبب وقريب من القلب، يعرفه "فاروق خورشيد" في كتابه"الموروث الشعبي" نعني به عالماً متشابكاً من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ وعبر الانتقال من بيئة لأخرى ومن مكان لأخر في الضمير العربي للإنسان المعاصر...، فمصطلح التراث الشعبي «إذن يضم الممارسات الشعبية والسلوكية والطقسية معا، كما يضم الفلكلور والميتولوجي العربية ويضم الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي»[2].

لم تغفل الرواية هذا الجانب إذ حملت في طياتها بعض الإشارات للموروث الشعبي الجزائري، انطلاقاً من ذكر الحكاية الشعبية التي تعتبر من أهم ما يرسخ في ذهن الطفل بعدما يكبر«أرخى العنان لذكرياته التي ورثها عن جدته التي كانت تحكيها لهم في ليالي سمرهم العائلي عندما كان صبياً»[3] إذ أعادته ذاكرته إلى الأوقات المفعمة بالدفئ العائلي خاصة ذلك الزخم القصصي المتنوع في مضمونه وغاياته والأثر العميق، وتلك الاحترافية من لدن الجدات اللواتي يتقن فن السرد وشد انتباه أحفادهن بحكايات قد تكون نابعة من خيالهن الواسع، أو عبارة

[1]الرواية: ص 47.

[2]فاروق خورشيد:" الموروث الشعبي"، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 12.

[3]الرواية: ص 42.

عن سيرة لشخصيات من عمق التاريخ «فتذكر جدته العجوز التي كانت تسحره بقصصها الرائعة، وذكريات عمرٍ ذهبي تطربه، والحنين يجتاحه إلى ماضيه العائلي، إلى والده وأمه وإلى طفولته»[1].

لا شك أن الجدات وهن يسردن الحكايات الشعبية يعمدن في ذلك على اللغة العامية أي تلك التي تخلصت من الإعراب وتستعمل في الحياة اليومية وتسمى الدارجة أو المحلية، وقد وظفها"مالك بن نبي" في ما يخدم أفكاره دون مبالغة منه اعتباراً من لفظة "بوقرعة" إذ وردت عدة مرات، وأيضاً في «لا بد أن والديك سعيدان الآن (سي) إبراهيم، خاطبته ب(سي) ...رد عليها إبراهيم وقد ملأته كلمة (سي) التي استعملتها العجوز قبل اسمه بالرضا والسرور[2] وللعامية حضور في عبارة فوق القلوب»[3] بمعنى لا يتحمله ولا يحبه أحد، ومن خلال إلحاح وتوسلات الفتى الذي دخل المركب خفية وهو ينادي «على وجه ربي، ياخواني...»[4]، كما أتى على ذكر بعض المأكولات التقليدية الجزائرية إذ كان الحجاج يحملون منها في رحلتهم إلى البقاع المقدسة «أما اليوم فالمؤونة اقتصرت على كعك وحلويات تحملها العائلات لحجاجهم، من البقلاوة الخاصة بالعائلات الغنية، و(المقروض) لقاطن المدينة والفقير، أما (الرفيس) فلريفي»[5] فالحلويات المذكورة تحتل مكانة في مناسبات الجزائري منذ القديم ولم تفقد تواجدها في أفراحه وتختص كل منها لمناسبة معينة.

لقد خلصنا من خلال عرضنا لما تم توظيفه من موروث اجتماعي من لدن الكاتب، إلى ذلك التماسك والانسجام الذي ميز المجتمع الجزائري وكذا سيره في طابعٍ من المحافظة والالتزام

[1] الرواية:ص 42.
[2] الرواية: ص 68، 69.
[3] الرواية: ص 87.
[4] الرواية: ص 93.
[5] الرواية: ص 102.

يصعب السماح بالخروج عن نسقه، وإن كنا سجلنا بعض مظاهر الجهل والتخلف التي نخرت مجتمعنا والمتمثلة في لجوء بعض المغلوب على أمرهم إلى بائعي الوهم.

ثالثاً:الموروث الحضاري

الحديث عن الحضارة متشعب متعدد الاتجاهات قديماً وحديثاً والأمر ناشئ من تنوع التقاليد والثقافات واختلاف الشعوب، وفي هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على هذا الجانب ومدا توظيفه في الرواية قيد الدراسة لكن قبل ذلك لا يمكن أن نلج هذا المضمون دون الاستعانة بشخصيتين مهمتين ارتبطتا به، وهما ابن خلدون ومالك بن نبي.

يعدّ الأول من الذين تحدثوا عن هذا المفهوم وانطلاقا من لفظة البدو التي تقابل الحضر، وفرق بينهما إذ يقول: «إن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وإنّ البادية أصل العمران والأمصار مدد لها فالبدو وهم: المقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ...وأن الحضر المعتنون بحاجات التّرف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ولأن الضروري أصل والكمالي فرع»[1]من خلال ما ورد عن "ابن خلدون" نرى انه يركز إلى حد ما على الجانب الجغرافي من الحضارة وطبيعة حياة الشعوب وهي عند "مالك بن نبي" في كتاب"شروط النهضة"[*]«لا يمكن

[1]https//alifaa.jo/article.aspx ?articleId=3512#.y_ upkhbmliu /2023/03/01.20/54.

[*] شروط النهضة "لصاحبه "مالك بن نبي" ترجمة كل من عبد الصبور وعمر كامل مسقاوي الصادر عن دار الفكر دمشق سنة 1986م وعلى مدار 160 صفحة، جاء الكتاب في بابين اثنين حمل الأول اسم الحاضر والتاريخ والثاني المستقبل قدم فيه تصوراً لعوامل النهضة وان العقل المفكر يشكل مع اليد العاملة المحرك الأساسي لها إذ وجها الوجهة الصحيحة، انطلاقا من أن شروط النهضة تتمثل بشكل أساسي في ثلاثة عناصر هي الإنسان والتراب والوقت، وفي حديثه عن الاستعمار يرى أنه رجع بالإنسانية في التاريخ ألف عام ما قبل الحضارة الإسلامية، لكن هذا كما يقول" بن نبي" لا يدفعنا إلى أن نحسبه شراً كله، بل إنه خيراً قد حققه الله على يديه من حيث لا يدري، فالاستعمار خلع علينا بابنا وزعزع دارنا وسلب منا أشياء ثمينة جواهر عروشنا وأرائكها الناعمة التي كنا نود لو بقينا عليها نائمين !والتاريخ عودنا أن كل شعب يستسلم للنوم فإن الله يبعث عليه سوطاً يوقظه، كم تحدث عن القابلية للاستعمار وأشار أن أهم عائق في وجه بناء الحضارة وتحقيق النهضة إنما هو راجع لحالة

أن تتحقق إلا بوجود مقومات ثلاثة متضافرة هي الوقت والإنسان وكذا التراب فمن هذه العناصر تتشكل كل الحضارات شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً، وهي من منظور المفكر"و، ل، ديورانت" نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وتتألف الحضارة عنده من عناصر أربعة هي:الموارد الاقتصادية والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون»[1].

نفهم من هذه الاستشهادات، أن ميلاد أي حضارة عند أي شعب من الشعوب وعبر أي فترة من الزمن تخضع لعديد المؤثرات المتضافرة وهي منوطة بالإنسان بالدرجة الأولى، فمشكلة هذا الأخير تكمن في القيام بنهضة شاملة عميقة في جوهرها؛ «فلا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها ...وما الحضارات المعاصرة، والحضارات الضاربة في ظلام الماضي ...إلا عناصر للملحمة الإنسانية ...هكذا تلعب الشعوب دورها وكل واحد منها يُبعث ليكّون حلقته في سلسلة الحضارات، حين تدق ساعة البحث معلنة قيام حضارة جديدة، ومؤذنة بزوال أخرى»[2].

من خلال ما أورده الكاتب نفهم انه يرجع مسألة الحضارة وقيامها بالدرجة الأولى إلى الفكر الإنساني ومدا استيعابه لدوره المنوط به في هذه السلسلة وكذا إدراكه أن هناك عوامل تؤدي لبزوغ حضارة ما وبالتالي غياب هذه العوامل يساهم في اضمحلال آخر.

وتبعاً لما سبق يضيف «وما أجلّ هذه الساعة!حينما تؤذن بفجر جديد من المدينة، وما أهولها من ساعة حينما تعلن غروب أخرى ! وهكذا كان شأن الجزائر عام 1830، فقد مضى

الضعف التي يزرعها الاستعمار في الشعوب ويقنعهم بضرورة الخضوع لهذا الوضع والخطوة الأولى في الخروج منه هي التخلص والتحرر من وهم هذا الضعف والوهن (ينظر: شروط النهضة لمالك بن نبي).

[1]https//islamotine.net/ 2023 /02/ 10 .11/25.

[2] مالك بن نبي:" شروط النهضة"، تر:عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق سوريا، 1986، ص 19، 20.

على أفول شمسها زمن بعيد، وقضت في ليلها وقتاً ليس بالقصير ومن عادة التاريخ ألا يلتفت للأمم التي تغط في نومها، وإنما يتركها لأحلامها»[1] لكن والحمد لله إذ سخر لهذه الأمة من أبنائها رجالاً أحيوا لها مجدها وحضارتها المدفونة في غياهب الاستدمار والاستلاب لتبعث وتعيد كتابة التاريخ من جديد.

إذن، الحضارة في مفهومنا العام كما يرى (حسين مؤنس) وذلك في كتابه"الحضارة" «هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً، أو غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية»[2].

لكننا سنركز في هذا المبحث على الموروث الحضاري المادي فقط على اعتبار ما تم تناوله في المبحثين السابقين ليكون مكمل لهما حتى نأخذ صورة متكاملة عن جوانب الموروث الثقافي في الرواية والتي جرت معظم أحداثها في مدينة عنابة أو بونة سابقاً، حيث أتى على ذكرها عدة مرات، جاء في مقدمة المترجم أن «أحداث القصة تدور في مدينة عنابة (بونة إبان الحقبة الاستعمارية)؛ حيث وضع"بن نبي" القارئ آنذاك وإلى اليوم في الأجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط في كل مدينة جزائرية كعنابة»[3]وكيف كانت تعيش هذه الأخيرة حالة عرس وهي تستقبل الحجيج في المرافئ «في هذا اليوم كانت عنابة تحتفل بالحجيج وكانت الحركة غير عادية قرب محطة القطار»[4].

وقد تنوع ذكر اسم هذه المدينة العريقة الضاربة جذورها في عمق التاريخ الحضاري والواقعة في الشرق الجزائري، فهي"عنابة"أحياناً و"بونة" أحايين أخرى «كان يرى بين جفنيه

[1] المرجع نفسه: ص، 20.

[2] حسين مؤنس: "الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، دار المعرفة، الكويت، 1978، ط1، ص13.

[3]الرواية: ص 17.

[4]الرواية: ص 30.

وكأنه خارج من مرفأ عنابة»[1] إلى أن يقول: «مكث إبراهيم في مكانه، يجول ببصره في ميناء بونة الذي شهدت ليالي ضياعه وسكره»[2]، ثم يعود لذكر عنابة التي سماها سابقا بونة وهو اسمها القديم حالها حال كثير من المدن الجزائرية التي تغير أسمها لأسباب مختلفة، هذه المنطقة الزاخرة بعديد المعالم والتحف المعمارية والحضارية وعلى رأسها المساجد وقد أحصاها "أبو القاسم سعد الله "*في كتابه" تاريخ الجزائر الثقافي"*«عنابة التي كانت فيها سبعة وثلاثون مسجداً، أشهرها جامع سيدي "أبيمروان" وفي سنة 1206هـ والموافق لـ 1762م أشاد فيها"صالح باي" جامعاً أصبح يعرف بالجامع الجديد وهو الجامع الذي نقشت عليه هذه الأبيات تؤرخه:

لعمرك بيت الله للسر جامع مشيد أركان به النور ساطع

[1] الرواية: ص 40.

[2] الرواية: ص 77.

* هو (شيخ المؤرخين) ولد في قرية (البدوع) بجوار مدينة قمار بوادي سوف في عام كما تقول عائلته إعادة ترميم الجامع الكبير بقمار حوالي 1930م دخل في سن الخامسة جامع (البدوع) حفظ القرآن الكريم وكذا المتون وفي تونس تحصل من جامع الزيتونة على شهادة الأهلية سنة 1951م وعلى التحصيل سنة 1954م بعد عودته إلى أرض الوطن اشتغل بممارسة التعليم سنة 1954بمدرسة (الثبات)بمدينة الحراش ثم انتقل لمدرسة (التهذيب) بالعين الباردة، التحق في أكتوبر1955بمصر وانتسب فيها لكلية العلوم جامعة القاهرة تخرج منها بشهادة ليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية سنة 1959 وفي بعثة تحصل من الولايات المتحدة الأمريكية على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962م والدكتوراه في 1965م ثم التحق بالجزائر على أن تقاعد، درس اللغة الإنجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية كتب في مجلات تونسية وأخرى لبنانية وجزائرية عديدة، شارك في كثير من النشاطات في الجزائر والوطن العربي وأمريكا وكذا كندا، ترجم العديد من الأعمال الأدبية وألف في الشعر والقصة كما تفرغ في الفترة الأخيرة من حياته للبحث والدراسة في التاريخ الجزائري، توفي في 14 ديسمبر 2013 (ينظر كتاب أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1988).

* هي سلسلة كتب صدرت في عدة أجزاء لصاحبها أبو القاسم سعد الله تناول فيها كل ما يخص تاريخ الجزائر الثقافي، عبارة عن موسوعة أثرى بها المكتبة الجزائرية وعن الجزء الأول والصادر عن دار الغرب الإسلامي على مدار 532صفحة، فلخص فيه الفترة التاريخية الممتدة من 1500إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي الجزائر (1830م)، إذ قسمه إلى ست فصول كل فصل يختص بجانب من هذا التاريخ، فعنون الأول بتراث القرن التاسع (15م) والثاني بالتيارات والمؤشرات تناول فيه فترة حكم الخلافة العثمانية للجزائر والعلاقة بينهما وجاء عنوان الفصل الثالث المؤسسات الثقافية وتطرق في الرابع للتعليم ورجاله، كما سلط الضوء بعد ذلك على فئة العلماء لينهي جزئه الأول من سلسلة كتبه بالحديث عن المرابطين وطريق الصوفية،(ينظر: الكتاب).

بدت دونه زهر الكواكب رفعة به بونة للسعد منها مطالع»[1]

هذه المفخرة المعمارية ذُكرت في عديد المواضع من هذا المنجز الأدبي فمثلا نجدها تسكن أفكار "إبراهيم"إذ جنح فكره عند رؤيته منارة مسجد الباي إلى مشاهد الصبيحة «...لتأخذه بذكراه إلى الماضي»[2]، فعلى غرار مختلف المساجد التي تزخر بها الجزائر يُعتبر صرحا دينياً ومنارة علمية مميزة إذيقع جامع" الباي "بعنابة في وسط الساحة المعروفة اليوم باسم ساحة 19 أوت 1956م، وهي تقع في قلب المدينة ولقد أطلق على هذا الجامع اسم"الباي"نسبة إلى الحاكم صالح باي وهو المؤسس سنة 1792م[3].

جعل "مالك بن نبي"المتلقي يزور الجامع عبر بطله إبراهيم والذي وإن لم يستطع الدخول إليه إلا أنه ومن خلاله أخذنا صورة عن طريق وصفه لمنارته المتلألئة بلونها البديع وساحته المنيرة بالأضواء، والتي تليق ببيت من بيوت الله «اتجه بعفويته نحو الشمال باتجاه المسجد الذي لاحت له منارته السامقة في سماء لونها خبازي امتزج بلون وردي باهت، عندما انتهى إلى الساحة رأى أطيافاً بيضاً تدخل المسجد من الباب المركزي الذي يؤدي إلى مدخل مغطى تنيره أضواء تنبعث من قاعة الصلاة اتجه إبراهيم بعفويته نحو الأضواء صاعداً أدراج المدخل»[4].

[1]أبو القاسم سعد الله:"تاريخ الجزائر الثقافي" (الجزء الأول، 1500_ 1830)، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط1، ص 248، 249.

[2]الرواية:ص 80.

[3]خيرة بن بلة:"المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني"، رسالة دكتوراه في الأثار الإسلامية معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 78، 85.

[4]الرواية:ص 53.

موروث حضاري آخر غير بعيد عن يوميات الفرد الجزائري المسلم حاضر بقوة إنها المسبحة «حول عنقه سبحة مثل هؤلاء الشيوخ الذين نجدهم على درج مدخل جامع الباي ينتظرون نداء المؤذن»[1]، لقد كان لهذه السبحة حظ وافر من الذكر في مدونتنا فكما هي صلة بين العبد وربه، هي كذلك ذكرى من مطلقة بطل الحكايةتعّرف "إبراهيم"...على السبحة التي تحملها العمة فاطمة لقد ظن أنها لفتة طيبة من العمة، وهدية منها كما بدا له كماجرت العادة ألا ترفض سبحة في هذه الظروف، فقد قبلها إبراهيم ...اقتربت منه وهمست في أذنه قائلة: «كانت هذه

[1]الرواية:ص 33.

السبحة لوالدتك فليرحمها الله حافظت عليها زهرة ...أصرت على أن ترسلها إليك لأنها أيقنت أنك جدير بأن تحتفظ بها الآن»[1] مثلت هذه الهدية البسيطة الكثير باعتبارها شكلت همزة وصل بين الطليقين فهي لم تفارق رقبة إبراهيم بعد ذلك «وضع السبحة حول عنقه ووجد صاحبه على عتبة المحل ينتظر خروجي»[2]، ويعود لذكرها مجددا في«فأشار إليه بالصعود، وقد ألقى نظرة على صورة الشهادة وعلى السبحة التي تحيط بعنقه»[3]، لقد احتفظ بها هذا الزوج المسكين حتى أنها أصبحت تلازمه يستعملها في الاستغفار وفي ذكر ربه «أما إبراهيم فكان لسانه يردد الذكر الصباحي مستعملاً السبحة وبصره يجول بين آخر نجوم الليل المتبقية»[4].

وعن نمط اللباس في الجزائر وخصوصيته التي تميزه عن غيره من الأمم والحضارات وإن اشترك في بعضها هناك ما يُقال، فاللباس الجزائري المتوارث من الأجداد غني بتنوعه وأصالته، سنأخذ لمحة عن هذا الزي الضارب في عمق التاريخ فمثلاً «كان يرتدي مئزراً طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلاً حذاء قماشياً ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة»[5].

والبرنوس من أعرق الألبسة ورمزا من رموز الموروث الثقافي الجزائري الخاص إذ لا يزال يحظى بمكانة في جميع ربوعها وهو ما جعل الفتى الصغير يرفض النوم عليه عندما طُلب منه ذلك وقال: «أنا لا أريد أن أوسخ برانسكم بقدمي أستطيع أن أنام على الأرض كما كنت أفعل مع أصحابي في بونة»[6].

[1] الرواية: ص 70.
[2] الرواية: ص 72.
[3] الرواية: ص 75.
[4] الرواية: ص 133.
[5] الرواية: ص 34.
[6] الرواية: ص 127.

ولعل للعمامة هي الأخرى مكانة تشبه فخامة البرنوس لذا فهي تختص باللقاءات والمواعيد المهمة ونلمس هذا في «أراد إبراهيم أن يبدو أكثر احتراماً وشرفاً في المحكمة فطلب من العم محمد أن يمهله دقيقة حتى يغير ملابسه خلع إبراهيم مئزره ونزع حذاءه وشاشيته وارتدى جبته ثم وضع عمامته وانتعل بلغته»[1].

يتضح مما سبق طريقة لبس الجزائري فمما ذكره البرنس والجبة والعمامة والبلغة هي ألبسة عريقة محلية ميزت الجزائري عن المعمرين اللذين استوطنوا هذه الأرض وحاولوا طمس هويتها وحضارتها، فقوبلوا بالمحافظة والتمسك بهذا الموروث من لدن الشعب الجزائري فلم يستبغ بالسبغة الأوربية رغم طول مكوث الاستعمار، إذ اعتبر تمسكه بموروثه جزءاً لا يتجزأ من مقاومته للمحتل، لذا لا يرضى الفرد الجزائري المسلم أن يفرط في زيه الأصيل إلا إذا تعلق الأمر بلباس الإحرام الذي يبقى حلماً غالياً يسكن كل مسلم ساعتها فقط «يتخلى الحاج عن ملابسه العادية الجبة البرنس والعمامة حاسر الرأس ولا يتزين إلا بلباس الإحرام»[2].

وفي المقطع الموالي نرى حيرة إبراهيم وهو يفكر بعد إتمام مراسيم الحج أي زيٍ يرتدي إذ «تساءل إن كان سيواصل ارتداء (القندورة) الجزائرية والعمامة أو يستبدلهما بالزي الحجازي»[3]، لقد وقف الكاتب على لباس الإحرام بشيء من التفصيل، هذا اللباس الذي يعتبر شرط من شروط الحج «لا تنسى أن تشتري لباس الإحرام ... قطع له أمتاراً من نسيج قُطني أبيض لتكون له لباساً للإحرام، هذا الرداء الذي يشده الحاج حول جسمه عند أداء شعائر الحج من الطواف حتى رمي الجمرات ...لف إبراهيم مشترياته مع لباس الإحرام ووضعه تحت ذراعه»[4].

[1] الرواية: ص 67.
[2] الرواية: ص 42.
[3] الرواية: ص 92.
[4] الرواية: ص 61.

يحظى هذا اللّباس بقدسية لا تسمح بمعاملته كباقي قطع القماش الأخرى لذا يعتني به صاحبه عناية تليق بمكانته «أخذ معه ملابس الإحرام وكله حرص على ألا يتركها وسط غبار الفحم»[1].

إن المتتبع لما ورد في مقاطع عديد من الرواية يأخذ بلا شك فكرة ليس فقط عن وصفه بل وطريقة ارتدائه وهو ما نلمسه في الصفحة مئة وثمان وأربعين «سأل الطفل أول حاج صادفه طامعاً في الحصول على إجابة كان شيخاً حليق الرأس تماماً مرتدياً قطعة قماش بيضاء معقودة عند حزامه وأخرى موضوعة فوق احد كتفيه كان يبدو أنه خرج للتو من غرفة الحمام الساخنة»[2] يجتمع كل مسلمي العالم عند ارتدائه على صعيد واحد، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، في إشارة إلى سواسية الناس كلهم عند الله سبحانه وتعالى فلا أحد يفاخر بلباسه وهيئته على الأخر، فبياضه من نقاء وصفاء قلب الحاج من الذنوب والكره والحقد والذي يتمنى العودة إلى أهله بحج مبرور وذنب مغفور، ولا يختلف في هذا مسلمو الشرق عن مسلمي الغرب فكلهم مقرٌ بالتوحيد راجياً قَبول حجه مسروراً بأدائه خامس ركن في الإسلام.

وفي متابعتنا لمظاهر الموروث الحضاري الذي تزين منجزنا الأدبي به، نمط البيوت والدكاكين البسيطة حيث صُورت من خلال الوصف حالة دكان إبراهيم ومدا بأس حاله«خشب السقف الذي لا يمكن التعرف من خلاله على طبعة كلس الجير الممسوحة لكثرة تراكم غبار الفحم الذي صبغ المكان هناك في الداخل»[3] فالمحل إذن ذو طابع عربي فهو من سقف خشبي حيث شُيد بما توفر من مواد ولم يكن متاح أكثر من ذلك، لكن الأمر مختلف بالنسبة للبيت الذي أبان عن طريقة مميزة في تشييد العمران في الشرق الجزائري والجزائر عامة «بعد الظهر استيقظ كالعادة بعد ليالي عربدته وكانت زهرة تنتظر استيقاظه لتضع"المايدة"(طعام الغذاء)

[1] الرواية: ص 67.

[2] الرواية: ص 148.

[3] الرواية: ص 35.

كانت جالسة على إهاب خروف موضوع في (الصَّحن) هذا الرواق الذي تطل عليه غرف المنازل ذات الطراز المغاربي»[1].

نلمح هنا طراز تصميم المنازل من خلال وصف البيت الذي يقطنه "إبراهيم" وزوجه "زهرة" فهذا التوصيف أعطى فكرة عن نوعية المعمار المنتشر في شوارع بونة على غرار باقي مناطق الوطن فطابعه العربي المغاربي واضح والمرتبط بشكل خاص بحي القصبة الواقع في قلب العاصمة «وبجوار أحد أعمدة الرواق كان هناك قفص معلق...فانقض على القفص دون أن ينبسّ بكلمة واحدة وألقى به في صحن البيت فأطلقت زهرة صرخة ألم وهبطت في السلالم مسرعة»[2].

وإذا نظرنا لهذه البيوت وجدناها تُؤثّث هي الأخرى بشكل محلي خاص مثل الحلقة التي تثّبت على الباب الخارجي وتستعمل لطرق الباب والاستئذان فمن خلال هزها، والضرب بها يحدث طرقا على الباب وهي عادة ما تكون من برونز «أمسك إبراهيم بحلقة البرونز المثبتة على الباب والمخصصة لطرق الباب فرد عليه صوت امرأة من الداخل»[3].

وعن داخل الدار نجد مثلاً طاولة الأكل العربية المميزة «كانت المايدة تلك الطاولة ذات الأرجل القصيرة الخاصة بمسلمي شمال إفريقية، قد نُصبت وأعُدت أجلسوا إبراهيم في المكان الشرفي من المائدة ... كان العم محمد يأكل معه في حين كانت العمة فاطمة التي أحضرت كل شيء عند متناول يديها، حتى لا تتعب رجليها الضعيفتين وحتى لا تغيب عن ضيفها، جالسة على السجادة تتجاذب أطراف الحديث»[4] يستخدم الطاولة أو المايدة الواردة في المقطع سكان الجزائر وكذا شمال إفريقيا، هي طاولة ذات أربعة أو أحياناً ثلاثة أرجل فقط، تمتاز بالقصر كما

[1] الرواية: ص 46.
[2] الرواية: ص 48.
[3] الرواية: ص 56.
[4] الرواية: ص 69.

إن حجمها ليس بالكبير مما يسمح بحملها، تلتف حولها العائلات في جلسة محلية تقليدية لتناول وجبات الطعام وتجاذب أطراف الحديث جلسة بسيطة مريحة خالية من التعقيدات وذلك في صحن البيت أو ربما المطبخ، وقد تناسب الهواء الطلق في الأرياف الجزائرية مع نسائم الهواء النقي والمميزة لتلك المناطق المفعمة بالطيبة براحة البال.

نبقى مع الموروث الحضاري في طابعه الشعبي عبر الحمام الشعبي والمنتشر في المناطق الجزائرية الشعبية خاصة حيث تلقى واسع الإقبال من طرف سكان هاته التجمعات السكنية، وبالأخص لدى العنصر النسوي اللائي يعتبرنه أفضل مكان للالتقاء والتحدث في مختلف الأمور التي تهمهنَّ وأحيانا يجري فيه التخطيط لمختلف الزيجات واختيار الكِنات المناسبة«اتجه إلى حمّام شعبي في الحي وبسرعة اغتسل ونظّف كامل بدنه دون أن يمعن في التدليك وعندما خرج كان يبدو كأحدٍ من الأشراف»[1].

وأخيراً لا يمكننا أن نغفل أو نتجاوز ما يميز الفارس العربي عموماً والجزائري بالأخص وهي الخيل، إذ مثلت في جميع أقطار الوطن العربي الإسلامي رمزاً للرفعة والقوة والشهامة لطالما رافقت الفارس المسلم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير وكما جاء في الأثر أيضاً علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ولها في بلادنا مكانة هامة عبر عروض الفانتازيا، وهي إلى زمن غير بعيد تستعمل لجر العربات في السفر وهو ما نقله"مالك بن نبي"في «كان هناك جمع غفير من أهل الحجاج وأصحابهم وحتى الفضوليون يملئون مرفأ الركوب الذي تتقاطر إليه عربات الخيل مغطاة بمظلات»[2].

[1] الرواية: ص 56.

[2] الرواية: ص 73.

بعد ما وقفنا على بعض المظاهر الحضارية التي زخرت بها الرواية في شقها المادي وجدنا أنها عكست بحق غنى الإرث الثقافي التي تتمتع به الجزائر، في نمطها المعماري المميز والنابع في أصله من روح الدين الإسلامي، فرغم تعاقب الحضارات على هذه الأمة إلا أنها حافظت على خصوصيتها المتميّزة المعبّرة عن الذّات الجزائرية المتجذرة في أعماق التاريخ.

الفصل الثاني

وعي الذات في رواية " لبيك حج الفقراء "

أولاً: وعي الذات المحورية

لا شك أن تناول موضوع الوعي في المنجز الأدبي يخص بالأساس المضمون الذي ينطوي عليه، ومدى عمق الرسالة التي لا ينفك الكاتب المبدع يحاول إيصالها لعقل ووجدان المتلقي «إذ يمكن للوعي هنا أن يسعى إلى تأسيس رؤية تعبيرية تهدف إلى صياغة الواقع صياغة جديدة لذلك فإن إيجابية البطل الروائي لا تتأسس من عدم إنما هي نتاج لإدراك موضوعي بحيثيات الواقع»[1].

وهو بالذات ما انطلق منه الكاتب والمفكر "مالك بن نبي"في رسمه لشخصيته الورقية الرئيسية "إبراهيم"التي نفرت من واقعها المخزي ونجحت في تغييره بداية من اعترافها بخطئها، والاعتراف أول خطوة في الوعي ومن ثمَ حاولت رسم واقع جديد يتلاءم مع نفس الإنسان المجبولة على الفطرة، فإبراهيم وفي حالة سكره كان يدرك بلا شك أنه قد جانب الصواب وما اعتذاره عبر تكرار كلمة آسف للعم محمد سوي دليل على يقينه أنه قد تخطى الحدود التي رسمها الشرع والمجتمع الذي يعيش فيه، وانه غير راضٍ عن تصرفاته، رغم انه يحاول إلقاء اللوم على المكتوب وكأن هذا الأخير هو الذي قاده لما هو عليه «آسف عمي محمد، إنه مكتوب على الجبين والله إنه مكتوب آسف ...لن أقوم بأيّ إزعاج، سأخلد إلى النوم»[2]، كان هذا رد إبراهيم على "العم محمد"الذي لامه على إزعاجه الجيران بالضوضاء التي أحدثها وزميله، فضلاً عن سكره الذي أصبح معتاداً عليه، وكأن الكاتب يشير إلى أن هذه الشخصية تسير في غير ما هو عليه أصلها إذ أن تصرفاته لا تعبر عن منبته ولا تنسجم مع وسطه العائلي حيث يقول: «كان وميض مصباح الشارع الضعيف كافياً ليضيء الظل المتمايل للسكير وكانت سمات وجهه تتميز بتلك اللّطافة الخاصة التي تدل على انحداره من هذا الوسط البرجوازي

[1] فتحي بوخالفة: "شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة"، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، (د ط)، 2010، ص 481.

[2] الرواية: ص 33.

الإسلامي ... الذي كان يعيش حالة من التقوى ... والترف إلى أن حدث التحول الاجتماعي الذي هزّ الجزائر خاصة منذ سنة 1918»[1].

شكل الحلم عند "إبراهيم"نقطة هامة إذ استيقظ كما يقول الكاتب وكأن أحد أيقظه، وأثَّر فيه إذ حاول بكل قوته استرجاعه وتبينه «قال محدثاً نفسه وهو يمسح عينيه كان حلماً ولكي يطرد الظلمة التي تلفّ هذه الذكرى راح يتحسّس الصندوق باحثاً عن علبة الثقاب لكي يشعل الشمعة ...، كان يحاول أن يمسك بأول خيط لحلمه الذي ترك في روحه لذة مبهمة»[2].

لقد كان مصراً على تذكر المنام الذي رآه، إلى أن بدأ يتسلل إلى ذاكرته ومضات منه وهو عائد إلى الدكان وهو في حالة السكر التي أصبحت جزء من يومياته، مر بين جمع الحشود في ساحة المحطة وتذكر كيف تعالت أصواتهم هاتفين لحجاجهم «أنتم السابقون ونحن اللاحقون، إن شاء الله، إن شاء الله ! وكان إبراهيم قد شاركهم أمانيهم أيضاً وقد غمره دون أن يعي الشعور الذي كان يخالج الحشد»[3]، وما كان نهره لصديقه الذي أراد أن يأخذه إلى حانة أخرى ليكملا سكرهما هناك، سوى دليل على عدم رضاه عن نفسه وعلى تصرفاته وهو ما جعله يصرخ في وجه صاحبه بكل ثقة «أتظنُّني كافراً مثلك؟ أنت الذي لا تعرف شيئاً عن دينك، فأنا حفظت ستين حزباً في حين انك لا تحفظ ما يكفي لتأدية صلاتك»[4].

وبعد أخذ ورد بين إبراهيم وذاكرته التي أبت أن تبين له عن حلم البارحة واللذة الخفية التي خلفها في أعماق هذا السكير الفخور بأصله وانتسابه لعائلة تحفظ القرآن وهو منهم، وفي نهاية المطاف «تذكر فجأة أجل، لقد حلمت بالكعبة شيئاً فشيئاً بدأ حلمه يتضّح، لقد رأى نفسه في

[1] الرواية: ص، 33.

[2] الرواية: ص، 36.

[3] الرواية: ص، 37.

[4] الرواية: ص، 38.

لباس الإحرام، اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك»[1] تركت هذه الرؤية أو الحلم أو نستطيع القول البُشري "إبراهيم" في حيرة كبيرة من أمره، تمنى أن يجد له تفسيراً، كيف لشخص مثله يعيش حياة الضياع والشرب أن يرى حلماً بهذا الشكل ولماذا هو بالذات، هل فيه شيء ما أو أن بذرةً للصلاح تسكن جسده «ترى ماذا يعني أن أرى نفسي في لباس الإحرام؟ ظل فكره يطارد بلذّة ذلك الحلم الذي يعتقد انه رآه، وبعينين نصف مغمضتين كان إبراهيم يرى نفسه برفقة الحجيج، الذين سيبحر مركبهم صباح هذا اليوم ... غير أن شيئاً ما لا يصدق كان قد أضاء في شعوره والذي استسلم بعده لسكون لذيذ»[2] شكل حلم "إبراهيم"بالنسبة له أفق وأملاً جعله يحلق في السماء من شدة الفرح وسمو الروح «أراد أن يطلق العنان لروحه التي كانت تتمسّك بدرب حلمه، كان يرى بين جفنيه وكأنه خارج من مرفأ عنابة والمركب يعج بهتافات الحجيج الملبية لدعوة الحجّ وصفارات الإقلاع من تلك الباخرة تصطحبهم مثل نغمات الأرغن lorgue وفعلاً جسد "إبراهيم"ودون وعي المشهد مردداً بأعلى صوته: لبَّيك لبَّيك»[3].

بدأ يشعر بحالته التي آل إليها بعد أن أرخى العنان لذكرياته مع أيام الطفولة وحكايا جدته في ليالي السمر، لتبدأ رحلة بطلنا مع وعي الذات انطلاقاً من «ابتلعإبراهيمريقه، وكأنه جرعة من المرارة يصحبها شعور بالخجل والألم، لم يعهدهما منذ زمن طويل»[4] لخصت لفظة المرارة حالته التي كانت نتيجة حتمية لمساره وسلوكه الخارج عن طبيعة عائلته ومجتمعه، أدرك أخيراً الفرق بين كلمة بوقرعة والحاج والبَون الشاسع بينهما وكأن لسان حاله يحاول أن يرى نفسه في الثانية، بعد أن غرق في الأولى طغى الإحساس بالعار عليه مما جعله يتخلص من «حذائه مثلما يتخلص أي إنسان من خزي ووصمة عار»[5] إحساسه هذا لا يمكن إلا أن يكون

[1] الرواية: ص، 38.

[2] الرواية: ص، 39.

[3] الرواية: ص، 40.

[4] الرواية: ص، 44.

[5] الرواية: ص، 44.

بداية صحوة واستيقاظ ضمير، ووعي بالمآل ليتمّلك الشخصية بعد ذلك صراعٌ بين ما كان وما ينبغي أن يكون، بين شابً ضاع في غياهب الظلال والتيه وبين آخر لوالدين عُرفا بالصلاح ونبل الأخلاق، وبيئة تنشد الفضيلة ويستقيسبلها في أبسط الأمور لذا «تنهّد الآن برغبة مبهمة منه في الهروب لكن الحنين إلى الماضي ملك فكره إذ طافت صورتان في ذاكرته، فتراءى له أبوه وأمه عندما كانا على قيد الحياة كانت حياتهما ميسورة، كلها تقوى وانتظام»[1].

ولعل أهم مرحلة لتشكل الوعي هي إدراكه الحال التي هو عليها الناتجة عن تصرفات سابقة له، فقد أسفرت عملية استرجاعه لذكريات فائتة عن تراكمات هو اليوم يراها سبباً في مأساته وتدني حالته النفسية رجع بمخيلته إلى الطريقة التي عامل بها زوجته بعد ليالي السكر التي كان يعيشها حتى أنه لم يرحم طائر الكروان المسكين وألقى به مع قفصه في صحن البيت من شدة الغضب، بسبب عدم رد زوجته على نداءه لها ورأى في ذلك احتقاراً منها، آه لقد خسر زوجته بسبب إدمانه الكحول وعربدته وقلة عقله، لم يكتفي بهذا إذ هو لم يتوانى عن تبديد رأس ماله أيضاً «لقد تنَّبه إلى وضعه المزري الذي وصل إليه، هذا الوضع المخزي الذي يعيّره به صبيان أزقة بونة بلقب بوقرعة»[2]، لم يكن يأبه قبلاً بهذه التسمية التي وسم بها لكنه اليوم لا يرضى أن يكون "أبو قرعة"ولا محط سخرية من صبيان حيه وكل المدينة «تساءل في نفسه ... كيف يمكن التخلّص من هذه الأحكام؟ فجأة انطلق صوت مؤذن الفجر الذي اخترق السكون الذي يلفّ المدينة النائمة وبثّ في أزقتها الخالية الصدى الداعي إلى الصلاة: الله أكبر! الله أكبر!»[3].

لقد قطع صوت المؤذن تزاحم أفكار"إبراهيم" وصراعه الداخليوذلك أن صوت أذان الفجر كان بمثابة الفجر الجديد، فاختيار الكاتب لصلاة الفجر لتكون بداية جديدة لبطله دليل على يقظة فكره وروح الإبداع لديه، وهو ما جسده معنى أن يلف السكون المدينة النائمة، إذ فما بعد

[1] الرواية: ص، 45.

[2] الرواية: ص، 49.

[3] الرواية: ص، 50.

النوم سوى الصحو والاستفاقة، لبداية يوم جديد وما تحمله كلمة جديد من تغيير إلى الأفضل، فإبراهيم لا يذكر أنه سمعه من قبل لأنه الوقت الوحيد الذي يتسلل النوم إلى عينيه، بعد ليلة من السهر «استمع إلى هذا الصوت الذي يشدو كل صباح على امتداد أفاق الإسلام كأنه لم يسمعه منذ أمد بعيد كمن أيقظه بعد نوم عميق لينادي إلى الصلاة كان يحس أن الأذان قد أيقظه من سبات دام لسنوات طويلة»[1]، أعاده صوت الحق لمرحلة كان قد غيبها من حياته وهي لما ألفى والده حين يسمع هذا النداء فيهرع ملبياً مناجياً ربه، بينما هو أخطأ وأضاع والطريق «هذا الصوت أيقظ فيه أيضاَ أصداء بعيدة فتذكر أنه في مثل هذا الوقت كان ينهض والده لكي يتوضأ ويصلي»[2].

نفذ النداء إلى روحه الضائعة ورغم انقضاء صوت الأذان إلا أنه مازال يملئ أذنيه ويتسلل بيسر لأعماقه، وبين الماضي والحاضر تضاربت الأحاسيس في نفسه إذ «تراءى له بغموض تناقض ما كان قد تجلّى بداخله من قبل في هذه اللّحظة كان إحساسه بالاستسلام إلى (المكتوب) وذلك الانجذاب الذي أحدثه صوت المؤذّن في نفسه يتصادمان»[3]، وجد في قول حي على الفلاح ضالته المنشودة التي بحث عنها ليتخلص من الشعور بالتوهان والاغتراب المتمكن من نفسه الناهش لروحه، هذا الصوت أشرقت له شمسه وتفتحت به أزهاره الذابلة في مستنقع الظلال «العبارة لخصت حالته النفسية في هذه الدقيقة تناهت إليه مثل صدى لحوار داخلي كان قد أفلت من شعوره، فأحس بخفة روحه وكأنها تخلصت من قيودها الثقيلة التي كان يظّن أنها لن تنفك عنه أبداً»[4]، تنبه إلى أنه ومنذ زمن بعيد لم يشهد طلوع الفجر ولم يستنشق النسيم العليل للصباح فانتعل حذاءه وخرج... اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه المسجد... لكنّه لم يجرأ

[1] الرواية: ص، 51.

[2] الرواية: ص، 51.

[3] الرواية: ص، 51.

[4] الرواية: ص، 52.

على تخطّي عتبة باب المسجد"[1] لقد وقف بطلنا أمام نفسه وعلى حقيقته إذ أدرك أنه لا يستطيع أن يكون بين صفوف المصلين، فهو بلا شك لم يكن على طهارة هذه الكلمة غادرت قاموس حياته مع رحيل والديه، ولم يعد له نصيب منها نلمس هذا في ما ورد في المقطع التالي: «تملكه إحساس بالضيق شله ومنعه من تخطّي الباب وكأن قوة ما تدفعه إلى الوراء إنه يعرف هذه القوة التي تمنع كلّ مسلم، من تجاوز عتبة المسجد أو تناول المصحف إذا لم يكن على طهارة ... أثقله هذا الإحساس وأقعده عند عتبة باب المسجد»[2]، إن لعبارة (أثقلته) وزنها في وصف موقف العجز والتخبط الذي وقفته الشخصية المحورية وهي تحاول إصلاح حالها وأن تخطو أولى خطواتها كحال الصبي الذي يبذل جهداً ليسير على قدميه بمفرده ويشق طريقه في رحلة الحياة لكنه وبالنظر إلى ماضيه، هو يظن أنه لا يستأْهل سوى الوقوف على باب المسجد دون أن يلِجَه ويا له من شعور أربكه ووقف حجر عثرة في طريق توبته، ولو نظرنا لكلمة عتبة لوجدناها توحي بخارج إطار أولئك الجمع الذين لبوا نداء ربهم ووقفوا بين يديه.

لا ريب أن أقوى شيء يتحقق به الوعي أو فلنقل هو الوعي بذاته وفي أرقى صوره، معرفة أن الدعاء هو السبيل الأمثل المنتهج من لدن كل مسلم يود الوصول إلى جادة الصواب والتخلص من كل آثامه التي تلاحقه، لذا لم يجد بداً من التوجه لربه طالباً العون إذ "رفع إبراهيم"يديه متضرعاً وقد فاضت عيناه بالدموع التي انهمرت على خديه ثم رفع بصره إلى السماء متمتماً: «يا رب اشفني من شروري فأنا مريض، اهدي سواء سبيلك فإني ضال"أضاء نور الصباح الجديد وجه إبراهيم الذي مازال ماداً يديه إلى الله متضرعاً ويملأه التأثر ويرجو هبّة منه»[3].

[1] الرواية: ص، 52، 53.

[2] الرواية: ص، 53.

[3] الرواية: ص، 54.

كان في استعمال الكاتب للفظة (أضاء) معنى عميق وتضميناً فمن جهة أشارت أن وقت الصباح قد حل، كما هي في عمقها إشارة إلى قبول الله عز وجل تضرع "إبراهيم"واصطفاءه بالهداية، وما كان لجوئه للدعاء إلا إيذاناًبقبوله.

بعد هذه المرحلة التي شكلت وعي "إبراهيم"انتقل إلى التي تليها وهي العمل بما وعى فلم يُماطل ويُسّوف بعد ما وجد تفسيراً لحلمه من خلال ما سمعه من حديثٍ عن الحجاج الذين ستقلع باخرتهم اليوم «انتفض في حركة آلية ... غادر المكان ... غمره إحساس بأنه تخلص من ضيقٍ كأنه كان يعيش في داخله حتى هذه اللحظة دور شخص بغيض فُرض عليه في مسرحية كوميدية بذيئة، أحس بفخر في قلبه أضفى على هيئته وقاراً وزاده كرامة»[1].

ومن هنا بدأ في رسم وتشكيل حياته الجديدة حياة يرضاها وتقر بها عينه، لذا كان أول عمل قام به هو الاغتسال ليحدث قطيعة بين "إبراهيم"الجديد وآخر قديم، ويتبرأ من الأخير ويرى فيه مجرد دور في مسرحية كوميدية، وأكثر من هذا قد فُرض عليه، ليحل محله شخص توحي هيئته من الداخل كما الخارج بالوقار والكرامة التي حرم منها طويلاً وهو ذات ما تشي به إجابته عن سؤال للعم محمد ضاناً منه أنه لا يزال على عربدته «لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي محمد ... ! هذه المرة هي يمين حاج!»[2] ليصّرح أخيراً معبراً عن رغبته ليس بأداء فريضة الحج فقط بل في اليومنفسه ولا ينوي أن يؤجل هذه الرغبة الجامحة في زيارة بيت الله «أريد أن أذهب مع الحجاج الذين سيغادرون اليوم قبل الظهر مهما كلفني الأمر»[3].

[1] الرواية: ص، 56.

[2] الرواية: ص، 57.

[3] الرواية: ص، 58.

الشاب واثقٌ من قراره وعزمه، وذلك ما جسدته عبارة مهما كلفتي الأمر فلا مجال للتراجع فيما عزم عليه ولا بأي شكل فرغبته هاته ملكت عليه جوارحه، رغم علمه بقصر الوقت الذي لا يكفي لإتمام الإجراءات المناسبة للالتحاق بالحجيج.

سرعان ما نلمس إيجابية هذه الشخصية إذ لم يفكر في نفسه وفي مصدر رزقه بعد عودته من أداء مناسك الحج وقرر مد يد العون لصديقه الذي مازال يتخبط في الضياع، وذلك عبر تنازله عن محله له رأفة بحاله، وهو الذي عانى وشاركه الوضع ذاته «المحل حُلت مشكلته ... أريد أن أتركه لذلك المسكين الذي ينام فيه الآن قد يجلب له الحظ إن شاء الله»[1]، يمكن القول انه يدرك بلا شك أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وتفتح أبواب الخير فهو يحاول أن ينفع غيره حتى يُسبغ الله عليه من فضله وكرمه، فالإحساس بالآخرين ملئ قلبه ما جعله يتصدق أيضاً على المحتاجين«توقف عند بائع الفطائر تناول واحدة وأعطى أخرى إلى شحاذ عسى أن تتنزل عليه رحمات السماء وتشفع له بالحصول على جواز السفر»[2]، وهو ما تحقق فعلاً فقد حصل على الموافقة وختم جواز سفره وهنا «فاضت مشاعر إبراهيم شاكراً الله لكل الناس ولكل ما يحيط به لأنه وفّق في مسعى كان يظنه صعب المنال كان يعيش لحظة كلها، نعيم يفيض رقة لكل من يراه في الشارع»[3].

ارتقت روح "إبراهيم" وأضحت مُحبة مُنتمية بعد حالة الاغتراب التي عاشها، وما شعوره الذي يفيض رقة لكل من يراه سوى دليل يؤكد ما وصل إليه وعيه وإيجابية، ولسان حاله يقول بعد دعوة وصلته لإقامة وليمة توديعية له، قبل سفره «لقد قبلوني في المنزل ودعاني الشرفاء إلى مائدتهم»[4] مثلت الدعوة بكل تأكيد تعبيراً فعلياً عن تبدل نضرة الناس إليه وتقديرهم وترحيباً

[1] الرواية: ص، 60.

[2] الرواية: ص، 63.

[3] الرواية: ص، 64.

[4] الرواية: ص، 66.

بتغييره الإيجابي، وهو ما جعل مشاعره تجِيش وتتسبب في نزول الدموع على خده، إضافةً لامتنانه لزوجته أو مطلقته التي ظلت وفية له إذ بها ترسل له سبحة تذكاراً من والدته المتوفية «أشكري زهرة عني لأنها أرسلت إلى بهذا التذكار في مثل هذا اليوم، أخبريها أني سأدعو لها عندما أكون عند النبي»[1]، أصبحت السبحة حمامة تواصل وتراسل بين زهرة وإبراهيم محملة بدلالات عميقة تغلغلت لأعماقه ولامست قلبه وجعلته يحن إلى حياة كان السبب في ضياعها ورأى فيها لفتة طيبة تدل على أنها تتابع أخباره وربما عن رضاها بما أصبح عليه!.

لم يشعر بطلنا بالأمان الكامل ولم تهدئ نفسه وترتاح إلا بعد أن صعد العبارة «شعر إبراهيم بالأمان وهو يمر فوق العبارة التي اعتبرها منقذته من المتوحش والخطير الذي تنصل منه، عندما وضع رجليه على المركب شعر وكأنه تخطى عتبة عالم جديد أطلق زفرة كلها رضاً: الحمد لله»[2]، من خلال المقطع السابق تبّين حال التوازن الذي تجلى في هذا الحاج الوافد على ربه وكله رضاً، هذا جعله يعيد النظر في تصوره لماضيه إذ «تذكر المسبحة التي حول عنقه فتلمسها لتأخذ بذكراه إلى الماضي لكن هذه المرة إلى ماضي هادئ وكأنه يوم ربيعي» .

نستشف من أثر عودته بذاكرته لزمنٍ مضى حالة تصالحه مع هذا الماضي، فندمه لم يؤثر على تطلعه لمستقبل أفضل يخبأه له القدر إذ كان «في حالة نفسية خاصة لمسلم متوسط الإيمان قلبه ممتلئ بالثقة في رحمة الله»[3]، يؤمن بما لا يجعل مجال للشك بأن الله سبحانه وتعالى يفتح الباب لعباده العائدين إليه ويبدل سيئاتهم حسنات برحمته التي سيقت غضبه «المسلم عندما يتخلص من خطاياه تنتابه ثقة كبيرة في مغفرة الله، إلى درجة يتلاشى معها الندم

[1] الرواية: ص، 72.

[2] الرواية: ص، 75.

[3] الرواية: ص ،79.

على هذه الخطايا»[1]، إن نفس المسلم تظل متشبثة برَوْح الله الذي يمحوا الذنوب كأنها لم تكن ويعود كيوم ولدته أمه وهو ما يجسده المعنى والمغزى من الحج المبرور.

ومع كل هذا تبقى "زهرة" تخطر على بال "إبراهيم"حيث «جنح بفكره إلى زهرة وقد مرت صورتها بخاطره وهو يتذكر بادرتها الجميلة بالأمس، تبادر إلى ذهن إبراهيم أن يستعمل السبحة التي أرسلتها»[2] لعل رغبته في استعمال السبحة محاولة منه ربط أواصر المحبة بينه وبينها وكأنها ترافقه في رحلته المباركة بتفكرها فيه «تخيل أن زهرة تفكر فيه وتخيل أنها مازالت زوجته وأنه تركها كما يفعل الحجيج مع أزواجهم ليعودوا إليهم»[3]، والشيء نفسه في «ظن أن زهرة ستعجب به عندما تراه في لباسه الحجازي لكنه تنبه إلى الغرابة التي طبعت تفكيره تجاه زهرة التي تركته ولم تعد زوجته... بما أنها فكرت في إرسال السبحة إليَ... هذا يعني أنها لم تنس»[4].

رحلة "إبراهيم" مع الإيجابية والبطولة امتدت إلى طفلً صغير كان يحاول هو الآخر الظفر بلقب حاج، رق لحاله وقرر مساعدته «أحس إبراهيم بالخطر الذي يحيط بالطفل... نحو العامل وخاطبه برقة والبسمة تعلو وجهه: يا سيدي هذا الطفل مسكين يريد أن يحجّ ليس له أبوان يدفعان عنه المستحقات ولكن إن أردت سندفع بدلاً عنه ...أنا سأفعل ذلك»[5] إن دفاعه عن الصغير المسكين يدخله في دائرة البطل الذي يبادر لتقديم المساعدة للمحتاجين إليها ورفع الغبن عنهم وعن قوام البطولة يمكن القول:«أنها المواقف المتميزة، الرؤى الواعية، العزيمة القوية، الإيمان العميق، والطاقات الفاعلة التي تشع حزماً وعزماً، القائمة على الإيثار والتضحية،

[1] الرواية: ص، 80.
[2] الرواية: ص، 122.
[3] الرواية: ص، 81.
[4] الرواية: ص، 93.
[5] الرواية: ص، 69.

والانتماء والعطاء المتواصل والمتفاعل داخل المجتمع الذي يسعى البطل دوماً إلى إصلاحه، ورفع الظلم عنه»[1].

لقد تحول من النقيض إلى النقيض حيث لم يكتفي بالدفاع عنه، بل راح يقدم الدعم لهذا اليتيم قائلاً: "اسمع يا هادي إذا احتجت إلى شيء فعليك أن تتصل بي»[2]، كما حّمل نفسه مسؤولية رعاية الطفل أين قام بتعليمه كيفية الوضوء للصلاة كما «كانت تخالجه مشاعر أبوية نحو الولد مختلطة بإعجاب أحسّ به دون أن يشعر عندما كان الطفل يتحدث عن أعماله»[3]، رأى فيه الطفل الذي كان يريد أن يكونه لكنه لم يستطع، فتوظيف كلمة مشاعر أبوية من لدن الكاتب وشت بما يكنه "إبراهيم " للفتى، من رغبة في رعايته وحمايته وأكثر من ذلك مشاعر الاعتزاز، حتى أنه لم يبخل عليه و اقتطع له من قماشه قطعة حتى يحرم هو الآخر «فيما يخص لباس الإحرام فعندي كفاية لاقتطع لك منه جزءاً يكفي قامتك الصغيرة تعال...»[4].

تمت مراسم الحج وتحقق لإبراهيم مراده في أن يصبح حاجاً ولم ينس"العم محمد"وزوجته اللذان وقفا معه وسانداه، أرسل لهما رسالة ومسبحتين من هناك، كما لم ينسى "زهرة"أبداً« توجد مسبحة لك ولزوجك، وهذا الخاتم لزهرة ... لن أنسى زهرة أبداً وصبرها الرائع معي في محنتي، أتمنى لها حجة لأنها تستحق ذلك وإذا قبلت أن تلحق بي في المدينة خلال الحج المقبل فأرجوك أن تسلم لها بقية ثمن بيع البيت حتى تتمكن من تحمل نفقات السفر، أسأل الله أن يجمعنا بالسعادة في هذه الدنيا أو في الآخرة »[5].

[1] محمد مصطفى كلاب:"البطولة في شعر الشهيد (إبراهيم المقادمة)، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ع أ، مج 20، يناير، 2012، ص 6.

[2] الرواية: ص، 100.

[3] الرواية: ص، 118.

[4] الرواية: ص، 152.

[5] الرواية: ص، 154،156.

من خلال تتبعنا لرحلة الوعي التي مر بها إبراهيم تبين لنا وإن كان ربط وعي للذات بشخصية سكير أمراً مستهجناً جداً إلا أن الكاتب أثبت أن البذرة الطيبة تنبت بلا شك شجرة طيبة وقد يكون سكير مثل إبراهيم يوماً ما فرداً واعياً صالحاً منتمياً لمجتمعه إيجابياً عائداً لربه.

ثانياً: وعي الذات وأبعاد الشخصية

يسعى الكاتب المبدع من خلال تقديم شخصياته الروائية إلى جعلها تحاكي الواقع انطلاقاً من عنايته بأبعادها الثلاث: البعد الفيزيولوجي والسيكولوجي، وكذا الاجتماعي حيث تشكل هذه الأبعاد شخصية ورقية متكاملة وتعطيها تفرداً وتميزاً خاصين، وقد اعتنى "مالك بن نبي" "بشخصياته الثانوية التي أحاطت ببطله في منجزه الأدبي هذا عناية كاملة إذ شكل كل من "العم محمد"و"زهرة"والطفل "هادي" وكذا صديقه السكير محط تأثر وتأثير في تشكل ونمو وعيه، ووعي كل منها، وهو ما سنتناوله في مبحثنا هذا بداية بشخصية "العم محمد".

العم محمد: تدخل هذه الشخصية ضمن دائرة مساعد البطل وهي تحاول بشكل مستمر ودائم إصلاح الشخصية المحورية دون كلل أو ملل وقد قدمها الكاتب بشكل واضح وجلي دون أن يترك للقارئ فرصة البحث عن ملامحها أو اكتشاف خباياها، وتعتبر شخصية ثانوية أي «التي تضئ الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية»[1] يظهر باطنها من خلال ظاهرها وتصرفها، ليست بالمركبة ولا المتناقضة، متزنة متسامحة، شخصية مسطحة يعرفها "عز الدين إسماعيل" «بأنها المكتملة التي تظهر في القصة دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير وإنما يحدث التغيير في علاقتها بالشخصيات الأخرى فحسب أما تصرفاتها فلها دائماً طابع واحد»[2].

ولعل أول بعد يظهر هو البعد الجسمي أو (الفيزيولوجي) ويُختصر بشكل خاص بالمظهر الخارجي للشخصية وهيئتها وطريقة لباسها، بغرض توضيح ملامحها وتقديمها للقارئ جاهزة،

[1] صبيحة عودة زعرب: "جماليات السرد في الخطاب الروائي عند كنعان الكنفاني"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 132.

[2] عز الدين إسماعيل:"الأدب وفنونه "دار الفكر العربي القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 117.

فالبعد الجسمي «يشمل الشكل العام للشخصية وملامحها وطولها وعمرها ووسامتها وذمامة شكلها وقوتها الجسمانية وضعفها»[1]، وإذا حاولنا تبيان البعد الفيزيزلوجي للعم محمد فيوضحه المقطع التالي« بعد دقائق فُتح باب المنزل فظهر شخص مرتدياً لباساً أبيض ... واتجه بخطاً صغيرة نحو السكير»[2]يوحي لون لباسه بالصفاء ونقاء السريرة، وكذلك اللحية البيضاء في «كان شيخاً له لحية بيضاء وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الشيوخ الذين نجدهم على درج مدخل جامع الباي ينتظرون نداء المؤذن»[3].

إن الناظر لهذه الشخصية بداية يشعر بالتأكيد بالراحة والطمأنينة في عرف المجتمع المسلم، لذا صورها الكاتب وقدمها بشكل منسجم مع سلوكها وطريقة تعاملها، فالعم محمد لم يسأم من تحمل هذان السكيران وهما يعيدان فعلتهما في كل مرة يظهر صبره في طريقة تعامله، إذ هو لم ينهرهما ولم يعنفهما بل عاملها بهدوء تام قائلاً: «ماذا بعد يا إبراهيم؟ مرة أخرى ثملاً؟! ألا تفكر أنك في هذه الساعة المتأخرة تزعج جيرانك المساكين؟، هل تدري أنني اضطررت إلى قطع صلاتي حتى لا أدعك تصرخ طوال الليل»[4] يتضح من هذا اللوم الرقيق رقة هذه الشخصية الحنونة والحكيمة في الوقت نفسه، ومتمرسة في فعل الخير والمساعدة وهو ما أوحت به عبارة مرة أخرى مصحوبة بعلامة الاستفهام والتعجب.

كما إن إشفاقه لم يكن فقط على السكيرين بل على كل الجيران حتى لا يُقلق إبراهيم منامهم ويقوموا بدورهم برد فعل قد يؤذيه، فمن ذا يقطع صلاته لمساعدة الآخرين وهل هذا أمرٌ هين على رجل كبير وقور مثله لكنه يُدرك بلا شك أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، كما تعتبر هذه الشخصية انطلاقاً من بعدها النفسي والذي يقوم فيه المبدع بوصف شخصيته الورقية من منظار نفسي كما يقول "أحمد شريبط" أنه يتم من خلال «تصوير

[1] عبد الكريم الجبوري:"الإبداع في الكتابة والرواية "دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص 88.

[2] الرواية: ص 32.

[3] الرواية: ص 33.

[4] الرواية: ص 32.

الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها»[1].

وتظهر في المقطع التالي بعض صفاتها «أمعن الشيخ النظر برهة بحزن في السكير المسكين الذي كان يترنح أمامه فحزن "العم محمد" نابعٌ من شفقته ورحمته بهذا الشاب الضائع والحال التي آل إليها بعد وفاة والديه إذ كان يتمتم أنت مسكين يا إبراهيم أنت لا تستشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيين كانا يريدان أن تكون شيئاً آخر، وأردف الشيخ قائلاً وهو يدخل المفتاح في القفل: ليحفظك الله أدخل أدخل»[2].

نستشف إذن العلاقة الوطيدة بين "العم محمد"و"إبراهيم"إذ كان يعتبر الأخير ابناً له حتى أنه يدعو له بالحفظ كأبٍ رحيم يشفق على ابنه المنحرف الضائع ويساعده في أبسط أموره "مدّ يده إليه لكي يساعده على تجاوز العتبة دخل الشيخ معه على الداخل وكأنه يعرف تفاصيل المكان".

من الملاحظ أن الكاتب كرر لفظة الشيخ عدة مرات لما تحمله في مخيال وعرف المجتمع الجزائري من وقار وعلم وحكمة فهي تطلق على كل من يستأهل الاحترام في الوسط الاجتماعي كما شيخُ الجامع، وذلك ليوضح البعد الاجتماعي لهذه الشخصية والذي له دور كبير في بنائها و«يهتم بتصوير الشخصية من خلال مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه»[3]، فالشيخ محمد ذو مكانة اجتماعية محترمة محبوب من الجميع، يعيش مع زوجته الخالة فاطمة حياة هادئة، وجار لإبراهيم الذي لطالما دافع عنه أمام الجيران الذين يشتكون منه وهو ما

[1]شريبط احمد شريبط:"تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947- 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1998، ص 36.

[2]الرواية: ص 34.

[3]شريبط أحمد شريبط:"تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947- 1985"، ص 36.

يوضحه "تدخل العم محمد ليضع حداً لفضائح إبراهيم وعربداته وكان تدخُّله هذا احتراماً لجيرانه الشرفاء.

امتثل إبراهيم طوعاً لقرار طلب صديق العائلة الحميم الذي كان وراء حصوله على المتجر الذي يقيم فيه الآن»[1]، حاول بكل طاقته أن يرضي جميع الأطراف بوعيه وحكمته خاصة أن لكلامه صداً، وفيه الأمر الفصل، ولم يخلي بين إبراهيم والجيران المصّرين على طرده بعد طلاقه لذا كان «يفكر في الوقت نفسه بإيوائه وأن يفتتح له بقالة بميزانية صغيرة على أمل أن تنقذه من هذا الوحل السيئ الذي غاص فيه»[2] حاول بجهد كبير منعه من أن يبدد ماله وذلك عن طريق خصم مبلغ من إيجاره كي يتمكن من إقامة مشرعه والوقوف على رجليه.

نستشف من خلال مواقف العم محمد كم هو شخصية عامرة بالإيمان والتقوى وتصرفاته خير دليل، وعبر ردة فعله عندما أخبره جاره بنيته في الحج «صعق الشيخ من هذا الخبر الذي لم يُرد أن يعتبره أحد نوبات إبراهيم الجنونية فلقد كان طبيعياً على غير عادته، لم يراود الشيخ شكّ في أمر إبراهيم»[3]، فرح كثيراً بهذا الخبر الذي أعاد إليه الأمل في صلاح الشاب خاصة أنه كان صديقاً لعائلته منذ زمن ويعرف أصله الطيب ومنبته المستقيم «تأمل الشيخ إبراهيم الذي أحس في نبرات صوته وفي هيئته علامات خفية، وفي وجهه شيئاً جديداً، أحس الشيخ بارتياح عميق لقد اهتزت روحه المؤمنة لوقع المعجزة التي تحققت أمام عينيه»[4].

لقد لخص المقطع أبعاد هذه الشخصية الحكيمة المحبة للخير عبر تأثره بتوبة جاره وهو ما فهمناه من(اهتزت روحه) ففي معناها ودلالاتها صدق ورع هذا الشيخ وتمسكه بأمل اصطلاح حال "إبراهيم"، إذ به يستغل حداثة توبته ليقوي إيمانه «كانت بحق معجزة بالنسبة إلى الشيخ

[1] الرواية: ص 49.
[2] الرواية: ص 49.
[3] الرواية: ص 58.
[4] الرواية: ص 59.

الذي أمسك بمعصم محدثه في حركة أبوية وقال له: إذا أراد الله شيئاً فإنه يقول له كن فيكون»[1] يُستدل على ورع العم أيضاً انطلاقاً من اقتباسه من كلام الله تعالى، فلا ريب إذ هو من مرتادي المسجد ومن حافظي كتاب الله، يكمل الشيخ معروفه مع إبراهيم بدعوته لإقامة وليمة توديعية قبل مغادرته عبر قوله: «تأتي معي إلى المنزل من أجل أن تتناول آخر وجباتك قبل الرحيل ...كانت هذه الدعوة تعبيراً عن تقدير الناس واحترامهم له ولكنه همّ بالاعتذار غير أن العم محمد قرر جازماً: يجب أن تخرج من المنزل ككل الحجاج وليس كمن لا بيت له وفضلاً عن هذا، فكل الجيران يدعونك ليودعوك»[2]، ومن ثمَ قدم الرجل الحكيم الإرشادات والتوصيات المتعلقة بسلوك الحاج في تلك الأرض الطاهرة.

زهرة: شخصية ثانوية هي الأخرى، ويمكن تصنيفها بأنها نامية«أي التي يتم تكوينها بتمام القصة فتتطور من موقف إلى آخر ويظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب جديد منها»[3] زوجة إبراهيم، لم يعط الكاتب بعدا فيزيولوجياً لها سوى بعض الإشارات الخفيفة مثل ذكر التقطيب بين عينيها الذي لازمها في حياتها الزوجية مع إبراهيم من خلال «ذلك التقطيب بين عينيها الذي يعتريها»[4]،وما في ذلك من دلالة على عدم الراحة والتوتر الدائم ، كما يبدو عليها المرض من فرط الحزن الذي طبع يومياتها البائسة «كانت قد عادت بعد أن قامت بغسل بعض الملابس لقتل الوقت، وارتسمت على صفحات وجهها رقة وحزن كمن به مرض عضال كانت تعاني منذ مدّة من سلوك إبراهيم غير السوي الذي كان يعذبها خاصة بعد انتقال والديه على الرفيق الأعلى»[5].

[1] الرواية: ص 59.

[2] الرواية: ص 65، 66.

[3] عز الدين إسماعيل: "الأدب وفنونه "، ص 117.

[4] الرواية: ص 46.

[5] الرواية: ص 46.

زهرة امرأة حزينة تعاني كما ورد في الرواية من تصرفات زوجها وتتحمل عربدته وهو ما نستشفه من مزاوجة الكاتب بين صفتيْ الرقة والحزن، رقةً وإشفاقاً على زوجها الذي اعتبرته أمانة عندها من لدن والديه المتوفيان، وحزناً على حالها ومعاناتها وعدم نجاحها في محاولة تغييره وتحسين سلوكه، أو حتى تقدير ما تقوم به من أجله.

إذا نظرنا لبعد هذه الشخصية النفسي نجدها إنسانة مرهفة الحس تعيش وتستأنس بطائر الكروان الذي يملأ عليها حياتها في غياب زوجها والعبارات التالية توضح ذلك :«قفص معلق بداخله كروان أصبح مع مر الزمن رفيقاً لزهرة حتى أنّها كانت تغنّي لتغريده وكانت كلما رأته ساكناً على أرجوحته تأتي لتكلمه لقد تعودت على فهم حركات رأسه الصغير كان يقول لها:عندما يحرك رأسه يميناً ويساراً ويقول لها نعم عندما يخفض رأسه كانت أجوبته وزقزقته كافية لتشعرها بالرفقة»[1] اعتبرت الطائر كما رأينا صديقها الوحيد فهو يأنس وحدتها القاتلة، ويخفف عنها شعور الألم بسبب عدم وجود أطفال في حياتها فلم تنجب وزوجها أطفالاً، فكان بمثابة ابناً لها تداعبه وتسامره وتردد معه النغمات الشجية «أطلق العصفور زقزقة تأثرت بها زهرة فطفقت تشدو بأغنية شجية تهدئ روحها دائمة الحزن إنّ انسجام الأغنية الشجية مع النغمات شغلها إلى درجة أنها لم تسمع زوجها الذي ناداها»[2].

ومع أنها شخصية حساسة رقيقة حزينة هي أيضاً قادرة على اتخاذ قراراتها في الوقت المناسب إذ بعد كل تلك الرعاية والمراعاة والفرص العديدة التي منحتها لزوجها، هاهي تقرر الآن هجره والذهاب بلا عودة بعد أن ضاقت ضرعاً بعد موقفه الأخير وهو يلقي بقفص العصفور على الأرض حيث «أطلقت زهرة صرخة ألم وهبطت السلالم مسرعة لتأخذ القفص حيث لفظ العصفور آخر أنفاسه ... غير أنها لم تصعد مرة أخرى ولم يرها إبراهيم منذ ذلك

[1] الرواية: ص 47.

[2] الرواية: ص 48.

اليوم إلا مرة واحدة عند القاضي الذي أعلن طلاقها منه»[1]، يظهر أنها سئمت وقررت تغيير حياتها القابعة في العتمة، وعدم الاستمرار في تضحية لا تأتي نفعاً ولمن لا يقدرها أساساً، لذا «طلبت من زوجها الخلع وحصلت على الطلاق»[2].

إن ما نخلص إليه من بعد هذه الشخصية الاجتماعي أنها عاشت حياة تقليدية قائمة على المحافظة على الأعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية متمسكة بها إلى أبعد حد، وذلك من خلال ذكر "مالك بن نبي" لطريقة زواجها التي لم تخرج عن نمط الحياة الاجتماعية السائدة «فكر في هذه الزوجة المخلصة التي اختارها والداه والتي قاست معه الأمرين»[3]أي أن زواجهما كان زواجاً تقليدياً انطلاقاً من اختيار الوالدين ولم يكن قراراً فردياً لهما وهو ما يوحي بانسجام "زهرة"مع العرف الذي هو محكمٌ في بعض الأحيان، وعن وضعها الاجتماعي بعد طلاقها فهي لم ترض أن تكون عالة على أحد لذا «تشتغل زهرة بجد وتكسب قوتها بشرف خياطةً للعائلات البرجوازية كما تتابع عن طريق العم محمد حال زوجها السابق»[4]، ومع طلاقها وبقائها وحيدة ونظرة المجتمع التي نعلم أنها تحكم على المطلقة وتجعلها محط الأنظار والرقابة رفضت الزواج مجدداً، إكراماً لذكرى حمويها الذين أوصياها بابنهما وهما على فراش الموت"[5]ويتجلى وفاء هذه المرأة بلا شك وإنزالها لوالديه منزلة والديها الفعليين في المحافظة على عهدهما وعلى أمانتهما قدر المستطاع.

لكن الشخصية ورغم صفاتها الحسنة الكثيرة، لها نقطة ضعف أو يمكن القول قلة وعي، فهي محدودة التعليم وكذا ضعيفة الصلة بالله، إذ أورد الكاتب في إشارة منه إلى كثير

[1]الرواية: ص 48.

[2] الرواية، ص 46.

[3]الرواية: ص 70، 71.

[4]الرواية: ص 71.

[5]الرواية: ص 71.

من العائلات التي تسلك نفس المسلك بسبب قلة حيلتها، والأمر يتعلق بارتياد القزانات أو قارئة الحظ علها تجد عندها حلاً لحالة زوجها الضائع، وتشتري الوهم بسبب قلة إدراكها «فسنوات عديدة كانت مع القزّانات تجدد أملها»[1]، وفي «كان هذا شغلها الشاغل فكم من مرَّة كانت تنتقل إلى القبة لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها»[2]، أصبحت زيارة العرافة المشعوذة ديدنها وهو حرفياً ما أشارت إليه عبارة شغلها الشاغل، تمّكن منها هذا النمط السلبي المتخلف من التفكير إذ تنتقل لأجل هذه الطقوس من عنابة إلى القبة.

عاد الأمل من جديد لقلب"زهرة "بعد سماعها تحسن حال طليقها وأرسلت له حتى تذكّره أنها لم تنسه سبحة والديه «كانت هذه السبحة لوالديك فليرحمهما الله حافظت زهرة عليها بحرص وعندما علمت برحيلك هذا الصباح أصرت على أن ترسلها إليك لأنها أيقنت أنك جدير بأن تحتفظ بها الآن»[3]،وفعلا أثّرت هذه اللفتة الجميلة في إبراهيم الجديد وجعلته يحن لأيامه معها منذ أن استلم السبحة وطفق يذكرها في كل مرة «امتزج في ذهن إبراهيم وجه زهرة الحزين المبتسم مع وجه أمه المشرق والممتلئ بالرضا ذاب الوجهان فيه وشكّلا رمزاً واحداً لطريق مضيء فُتح أمامه فجأة»[4] أضحت"زهرة"ملهمة وطريق في أخره نور في عيني طليقها كما كانت أمه، فدلالة الامتزاج هنا كما وصف الكاتب في تطابق صورة وجه "زهرة" الحزين بصورة الأم الحنون العطوف، وتذكرهما بالصفة نفسها لأكبر دليل على مدا التأثير الذي تركته هذه الزوجة الطيبة الكريمة.

[1] الرواية: ص 47.
[2] الرواية: ص 47.
[3] الرواية: ص 70.
[4] الرواية: ص، 71.

الطفل هادي: هو النسخة الجيدة الإيجابية لإبراهيم، فتىً أكبر من سنه، له من الوعي بالذات والإرادة ما جعله يتحدى الظروف حتى يحقق حلمه ويزور البقاع المقدسة، شكلت هذه الشخصية إعجاب إبراهيم ما جعله يتعّهده بالرعاية والحماية يرى فيه طفلاً طموحاً صالحاً، وتبدو هيئة الفتى في بعدها الفيزيولوجي من خلال «كان على المركب يوصل رزمة لأحد الحجاج كان شعره أشعث ورجلاه حافيتين يرتدي سروالاً كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة همّ الطفل بتفحص إبراهيم باهتمام شيئاً فشيئاً ظهرت دهشة الطفل على وجهه فانفجر ضاحكاً وصاح في اتجاه إبراهيم ... بوقرعة ! أنت أيضاً ستذهب إلى الحج؟»[1].

إن الشعر الأشعث والرجلان الحافيتان والسروال المليء بالثقوب وصفًا دقيق لحالة متشردٍ فقير لا يملك مأوى ولا حتى ملابس لائقة، والأمر نفسه في المقطع التالي : «تعرف على الطفل الذي كان يرتدي سروالاً قصيراً والذي لم يكن سوى الفتى الذي ناداه قبل مغادرة بونة»[2]، أراد الكاتب بذكر ملابس الفتى وهيئته البائسة وضع المتلقي مباشرة في عمق الشخصية ووفر عليه تخيل تفاصيلها ربما لأن الأهم عنده هو بعدها الاجتماعي والنفسي ويظهر الأخير في شعوره بالخوف وصراخه في المقطع الوارد في الصفحة الرابعة والتسعين «شغل بال إبراهيم صراخ الطفل الذي كان يشدّه أحد عمال المركب من معصمه والحجاج من حولهما يتفرجون، تأثر إبراهيم كثيراً بمُحيّا الصبي المثير للشفقة ورؤية استهزاء العامل ... اشتد صراخ الفتى الذي كان الهلع بادياً عليه وكأنه يتوقع عذاباً ما جزاءً لما فعل»[3] صحيح أنه وجد نفسه في العبارة كما أراد وسعى لكن الخوف تمكن من قلبه بعد أن كُشف أمره ولم تكن له حيلة سوى الصراخ من فرط

[1] الرواية: ص 57، 76.

[2] الرواية: ص، 93.

[3] الرواية: ص، 94، 95.

الفزع إذ «كان الطفل يظن أنه سيُعرض على محافظ الشرطة كما حصل له عده مرات في بونة عند قيامه ببعض الشغب»[1].

رغم وحدة هذه الشخصية وصغر سنها إلا أنها متحدية محاربة وجريئة أيضاً إذ كيف لفتى مشرد وحيد يضع الخطط وينفذها ويصعد على متن العبارة رغم علمه ما قد يلاقيه بلا شك حين افتضاح أمره وهو كذلك فتى مشاغب وهو ما لمسناه في عبارة عند قيامه ببعض الشغب فلم تكن المرة الأولى لكن لحسن الحظ وجد المحافظ «في نظرات الفتى الذي سيحكم عليه تلك الروح التي تسكن الأطفال المولعين باستكشاف الأصقاع البعيدة»[2]، صحيح هو الأمر كما يرى المحافظ في اعتقاده بروح حالمة تسكن الصغار لكنه عند"هادي"يتعدى اكتشاف الأماكن البعيدة وعيش مغامرة جديد كالتي تحويها الحكايات القديمة، بل الأمر هنا يتعلق برحلة حج وزيارة البقاع المقدسة والظفر بلقب حاج ولو كان في هذه السن الصغيرة.

«أحس الفتى بارتياح للحكم الصادر بحقه وقال للمحافظ الذي التفت ليغادر المكان وكله عرفان بالجميل :"شكراً لك سيدي المحافظ سأعمل بجد فأنا اعرف تقشير البطاطا وأجيد الكنس أيضاً»[3] يظهر من خلال فرحه وامتنانه بخدمة الحجيج مدى تمسكه بمقوماته الدينية فهو يعتبر هذا شرف حضيَ به، إذ وجد دوراً يؤديه كما استغّل وجوده برفقة أشخاص على دراية بالأمور الدينية مثل طريقة الصلاة والوضوء ليتعلم منهم وقد اعلم"إبراهيم" بذلك«سحب هادي رأسه من الكوة لكي يخفي التأثر الذي هزّ صوته وقال: أنا لا أعرف كيف أتوضأ أرني كيف أفعل ذلك مرة واحدة فأنا أتعلم بسرعة»[4]، واثقٌ من نفسه وقدرته على التعلم إذ يكفي أن يرى الطريقة مرة واحدة وسترسخ الطريقة في ذهنه فهو سريع التعلم والبديهة، وعندما أقيمت الصلاة«ردد الطفل

[1]الرواية: ص 97.
[2]الرواية: ص 98.
[3]الرواية: ص 99.
[4]الرواية: ص 112.

التكبير بوقار راوده انطباع وكأنه ينجز أول شيء جدّي في حياته، حملته مخيلته إلى فضاءات سامية مضيئة، مليئة برؤىّ خاطفة للأبصار لا يمكن إدراكها بالعقول كان يشعر بأن قوة الصلاة الخفية والغامضة قد حملت روحه في هذه اللحظة على جنة لم يستطع أن يحدد شكلها وغبطة بالغة اختلطت مع وقاره الطفولي»[1].

يا له من وعي طبع شخصيته إذ به يجد لذة في الصلاة وتغمره الغبطة لأدائها في حين يحلم جل رفاقه بقضاء أوقاتهم في اللعب واللهو وهي كل متعتهم ومنتهى أمالهم، على خلافه هو الذي سمت روحه في سن حديث وتطلعت لإرضاء ربها رغم حالة البأس والحرمان من الأهل والمال اللذان لم يثنيانه عن تحقيق أحلامه البريئة المفعمة بالإيجابية مهما تكبد من مشاق، حتى صار يلقب عند الركاب بجلاّب السعد، وسرعان ما بدا الفتى يثير تساؤلاتالحجيج وأرادوا معرفة قصته وقصة صعوده على متن المركب.

ليتضح بعدٌ ثالثٌ لهذه الشخصية وهو البعد الاجتماعي الذي سيأتي الحديث عنه، يقول أحد الحجيج «أخذ أمتعتي عنوة، لقد انتزعها انتزاعاً من يدي عندما التقيت به غير بعيد عن المركب، كان يقبل يديَّ وعيناه تذرفان بالدموع ... أخبرني أنه يريد الذهاب مع الحجيج ظننتها في قرارة نفسي نزوة طفل ... رفض رفضاً باتاً أن يأخذ أجر حمله لأمتعتي... كان يريد دفعي للتواطؤ معه لأمكّنه من الصعود على المركب»[2].

لم يكن للفتى أهل أو شخص كبير يحج برفقته لذا خطط بكل حرص لكيفية صعوده حتى انه استغّل أحد الحجيج حتى يساعده بذكاء يظهر هذا الذكاء في تتبعه لتفاصيل تمكنه من تحقيق مراده دون أن يُكشف أمره، وانطلاقاً من اهتمام الجميع به وخاصة"إبراهيم" «أحس هادي بحنان واهتمام في صوت إبراهيم الآمر كثيراً ما افتقدهما في بونة عندما كان يرى أطفالاً في

[1] الرواية: ص 121.

[2] الرواية: ص 115، 116.

مثل عمره يتمردون على السيطرة الرقيقة لآبائهم»[1]، إنه الحنين للوسط العائلي والحماية الأبوية التي يراها باقي الأطفال سيطرة في حين تتجسد فيها الرقة والحماية عند هذا الحاج الصغير الوحيد، وتُوضح العبارات التالية الأمر أكثر«كان كثيراً ما يُطلق الزفرات على حريته المطلقة والمتردّية خاصة عند أوقات الطعام والنوم، ... وعلى أبواب المدارس يراقب الأطفال حين خروجهم وهو يصرخون ويقفزون هنا وهناك فرحاً بوجودهم في الشارع ليمارسوا حريتهم حتى ولو كانت حرية لا ضرر فيها محمية ومتوازنة»[2].

يعتصر قلب الصبي على وضعه العائلي المليء بالوحدة فهو يحلم بلّمة العائلة عند أوقات الطعام، وعند النوم وحكايات الأمهات، من هذه الذكريات إذن يتجسد حرمانه من دفء الأسرة والوالدين بحنانهما وحتى بقسوتهما التي قد يشتكي منها غيره ويرى فيها قيداً، لكنه الآن بدأ يرى في عطف"إبراهيم"تعويض لبعض هذه المشاعر المدفونة في عمق ذاته وقد راقه اهتمامه به ورعايته له، فهو «متلهف لأجل أن يتذوق نكهة الحياة العائلية التي طالما افتقدها في بونة عندما كان يرى الأطفال يدخلون أو يخرجون من بيوتهم حيث يوجد آباؤهم وأمهاتهم كان يفيض عرفاناً وتأثر عندما قرر الحجاج تخصيص مكان له بينهم»[3].

استأنسالجمع به وتأثروا بقصته الحزينة وهو يخبره كيف أن والديه جاءا به من دوارٍ داخلي إلى عنابة إثر المجاعة التي انتشرت وأجبرتهم على المغادرة إضافة لرغبة والده البحث عن عمل يسد به جوع عائلته الصغيرة «احضره والداه من دوار داخلي إلى بونة هروباً من المجاعة ليتمكن والده من البحث عن عمل وكان هادي صغيراً جداً ...كان يحتفظ بذكريات غير واضحة عن خيمة بالية كانت ملجأ لهم ليس ببعيدة عن جسر يقطع وادي (السيبوس)»[4]وكيف اشتغل

[1]الرواية: ص 119.

[2]الرواية: ص 119.

[3]الرواية: ص 126، 127.

[4]الرواية: ص 127.

والده في مزارع الكروم ولم يراه الفتى إلا في وقت متأخر من اليوم وعن أمه التي يذكر أنها كانت تربي الدجاج، إلى أن ماتت وتشتتت العائلة «لكن أمي ماتت وباع أبي الدجاجات لأن بيضها كان يُسرق ...ثم قص عليهم لحاق أبيه بأمه بعد وقت قصير ... كان يسعل سعالاً شديداً ويبصق دماً»[1].

معاناة حقيقية عاشها الفتى جعلت منه قويً صلباً متحملاً للمسؤولية منذ الصغر وحاملاً للمشعل من أجل العناية بوالده المريض في آخر أيامه ولم يكن ساعتها يقوى أو يقدر على أكثر من التسول، لينتقل بعدها لمسح الأحذية إذ يقول: «كان أحد أصدقائي يترك لي علبة مسح الأحذية عندما كان يعمل عتالاً في محطات القطار أو الموانئ كنت أمسح الأحذية في غيابه واقتسم معه الإيراد والطعام ...في الصيف ننام على عتبة المسجد أما في الشتاء ففي رواق أحد الحمامات ثم اتخذت علبة لمسح الأحذية»[2] شعر هادي وهو يقص حكايته المُدْمِية للقلب بتعاطف جميع الحضور الذين رحبوا بتواجده معهم وأكبروا فيها روحه المكافحة.

صديق إبراهيم: يمكن تصنيف هذه الشخصية أيضاً ضمن الشخصيات الثانوية لم يكن لها حضور كبير في المنجز الأدبي ولم يُمعن الكاتب في رسم معالمها وأبعادها إلا بقدر ما يناسب تصوره لها فلا يعنيه كثيرا مثلا بعدها الفيزيولوجي ولا حتى اسمها، غير أنه صديق إذا صح القول عن شخص مثله صديق، بل هو لا يتعدى أن يكون رفيق سوء للشخصية المحورية، ضائع تائه، لا مأوى له وليس سوى سكير مخمور طوال الوقت، لا يبالي حتى بكلام الناس حيث «استلقى أرضاً على امتداد حائط المتجر مخاطباً صاحبه بصوت مخمور: دبر أمرك أنا سأنام هنا»[3]حتى أن صديقه والذي هو مخمور مثله قد أشفق عليه «تأمل لحظة صاحبه

[1]الرواية: ص 128.

[2]الرواية: ص 129.

[3]الرواية: ص 31.

المستلقي على الأرض كان في نظرته شيء من الحقد ومن شفقة على هذا الرجل الذي لا يستطيع أن يقاوم الخمر»[1].

هو إنسان هش ضعيف لا يقوى على مقاومة تعاطي الخمر كما ورد في المقطع، منغمس في الانحراف الذي أخذ عنه إرادته وهو ما نجده إذا نظرنا لبعد هذه الشخصية النفسي، يحاول جر صاحبه لدائرة الفساد أكثر ويجوب به الحانات ما جعل"إبراهيم"يسأم من تصرفاته «حتى أنه انتهر رفيقه الذي كان معه عندما جره بيده مثرثراً باستهزاء وهو يحاول أن يأخذه إلى حانة أخرى»[2]، لا يمكن تفسير هذا سوى أنه شخص مستهتر لا يقدر عواقب الأمور ما جعل صديقه يضيق ذرعاً بتصرفاته واتهمه بأنه لا يعرف شيئاً عن دينه نظراً لتماديه في العربدة قائلاً:«أتظنني كافراً مثلك؟ أنت لا تعرف شيئاً عن دينك ... لم يفهم صاحبه أي شيء.. وأصرّ على أن يجره معه إلى الحانة»[3].

استنادا لما تم ذكره يتضح أن هذا السكير البائس لا يملك وعياً لا بذاته ولا بمجتمعه ناهيك عن محاولة التغيير والتوبة وإصلاح حاله كما صاحبه، فهو لا يستنكف أن يستلقي أينما أوصلته رجلاه«رأى إبراهيم رفيقه المستلقي على الأرض كأنه كومة على كتفي الباب رفع رأس صاحبه الذي فوجئ به إذ وجد نفسه جالساً متذمراً: دعني وشأني يا إبراهيم! ... أجبره على النهوض قائلاً له: قم قم لتنم في مكاني امتثل الرجل أمر إبراهيم دون احتجاج وذهب للتمدد على الفراش»[4].

إذا حاولنا تبّينبعداً اجتماعياً لهذا الشاب، لوجدناه لا يملك لا عائلة ولا مصدر رزق ولا حتى بيت يأويه، الأمر الذي جعل صاحبه يشفق عليه ويترك له المحل كمحاولة منه لتحسين حاله

[1]الرواية: ص 31.
[2]الرواية: ص 38.
[3]الرواية: ص 38.
[4]الرواية: ص 52،53.

ولتوضيح ذلك نستدل بالمقطع «تساءل:ماذا؟ هل ستفتح محلك الآن؟ رد عليه إبراهيم بنبرة غامضة: محلي أنا؟! إنه محلك منذ الصباح ذهل صاحبه متسائلاً إذ لم يكن إبراهيم أكثر سكراً من الليلة السابقة ... وقف صاحب إبراهيم الذي أبكمه ما سمع إذ لم يفهم أي شيء مما يدور داخل المحل»[1]، وبعد معرفته تغير حال صاحبه لم يكن بالعزيمة نفسها ليسير على خطاه، فقد استسلم لنمط حياته المعتاد.

لكن من الضروري الأخذ بالحسبان أن"مالك بن نبي"لم يشأ ترك هذه الشخصية تعيش في الظلام وفي سلبية وروح انهزامية، بل عمل تماشياً مع مبادئه ونظرته الإصلاحية، وبعد تفكيره الفلسفي العميق لإعطاء بعض الأمل للمتلقي في اصطلاح حال هذا السكير، إذ به يلمح لرغبة دفينة، لا تدركها حتى الشخصية نفسها في انتهاج منهج قد يكون مؤشر خير، وذلك حين أجهش بالبكاء لفراق صاحبه «سمع صوت زفير مكتوم ... وإذا بصاحبه تجتاحه المشاعر نفسها لقد كان يبكي ...حزناً لفراق صاحبه في الشقاء ...انفجر إبراهيم ضاحكاً من منظر صاحبه المثير للشفقة ...أتدرك لماذا قلت لك إن المحل محلك؟ سأترك لك إدارته ومن يدري قد تتبعني يوماً...!»[2]من المقطع يبدو أنه أحس هو الآخر وتمنى لو تنصلح حياته ويقوى على التغيير إذ قال: «لا تنسني يا أخي إبراهيم في دعواتك عند سياج النبي فليرحم الله والديك»[3].

ونتيجة لما تم ذكره عن وعي هاته الشخصيات وانطلاقا من أبعادها الثلاث يتضح أنه رغم اختلاف منطلقاتها ومستوياتها ودرجة وعيها وأثرها إلا أنها في نهاية المطاف شكلت تقاطبات في حياة الشخصية الرئيسية، بين أبٍ روحي مثل الدعم والنصح ، وزوجه صابرة وفية وفتى تشع من قلبه صورة لغدٍ مشرق وبين رفيق مثير للرحمة والشفقة.

[1]الرواية: ص 65،66.

[2]الرواية: ص 66،67.

[3]الرواية: ص 74.

ثالثاً: وعي الذات للزمان والمكان

يعد من الثابت أن الزمان والمكان من أهم ركائز العمل الأدبي حيث يمثلان عنصراً محورياً في البناء السردي ويربطهما بالشخصية رابط وثيق لا انفصام عنه إذ يتفاعل الأخير معهما تأثيراً وتأثراً، كما يحددان معاً خصائصه الاجتماعية والفكرية والنفسية على حد سواء وينبع وعيه بذاته من وعيه بهما.

1) وعي الذات بالزمن:

إن وعي الإنسان بالزمن يجعل منه حريصاً على أن يستغله ويستثمره في جميع أموره مما يساهم في تحقيق أحلامه ويجنبه بكل تأكيد تضييعه فيما لا يفيد أو ما يعود عليه بالخسران والخذلان والندامة في الدنيا والآخرة، لذا كانت أهم شخصيتين في الرواية في علاقة سباق فعليٍ معه فإبراهيم لم يشأ أن يؤجل توبته أو إرجاءها لوقت لاحق قد لا تسعفه الأيام لأن يشهده، بل أراد وسارع للحاق بركب الحجيج في نفس يوم توبته وهو يعي تماماً أن الوقت لا يُأتمن وهل يضمن أن يبقى إلى موسم الحج المقبل! والوعي نفسه تشكل وتبلور وجعل الطفل هادي منذ صغره يعزم على الحج ولم يتّبع ما جرت عليه العادة والأعراف التي ترى أن الحج للشيوخ والعجائز وكأن غير هذه الفئة قد ضمنت وصولها للعتبة العمرية نفسها لذا قرر تأدية مناسك الحج في سن الطفولة انطلاقاً من مقولة الإنسان بعض وقت، واليوم الذي يمضي لا يعود ولا بأي شكلٍ من الأشكال، فلم يكن للفتى حيلة غير التسلل إلى العبّارة مجازفاً بما قد يحصل له ورغم خوفه الشديد إلا أنه آمن بتحقيق حلمه متحدياً رفاقه، الآن وليس غداً هذا الوعي بالزمن وانفلاته بشكل سريع يجعل من الشخصية تسابقه ولا تأمن جانبه ومن باب التعجيل بالخير والتوبة.

لعل أهم شعور رافق وعي شخصيات هذا العمل بالوقت هو رغبة الجميع في عدم تضييع وقت انطلاق رحلة الحج والحرص على الوصول في الوقت المناسب وهو الأمر الذي لم ينطبق على الرجل المسكين الذي خاب مسعاه ولم يكلل جهده بالنجاح «فبوجه مأساوي ونظرات حائرة توجه نحو المركب ماداً يديه كمن خطف منه شيء وهو يصرخ:

_ أرأيت يا رسول الله لقد تركت خيمتي وأولادي كي أتي إليك لقد قطعت 800 كلم مشياً على الأقدام ولكن لا أستطيع أن أذهب أبعد من هذا يا رسول الله»[1]، لم يسعف الزمن هذا الرجل حتى يصل في الوقت المناسب ويزور البقاع المقدسة، رغم المسافة التي قطع مشياً على قدميه، لقد خذله الوقت ولم يسر في صالحه، وهو ما رسمته الصورة الفنية معبرة بصدق عن مدى أسفه، فكلماته المؤلمة بلغت عنان السماء على حد تعبير الكاتب، وسباق أخر مع الزمن من اجل إتمام إجراءات الحج واللحاق بركب المعتمرين وفيه حاول إبراهيم تدارك ما فاته من زمن وقد اصطدم ببعض المعيقات التي لم تثن من عزيمته إذ لما كانت «المصلحة المسؤولة عن هذه الإجراءات لا تفتح إلا على الساعة الثامنة، إن الله قدير»[2] ولكي لا يفوته ويتسرب من بين يديه «أراد أن يستغل الوقت المتوفر لديه ليأخذ صور هوية لجواز السفر»[3].

وتتكرر عبر تقنية الاسترجاع التي تعتبر واحدة من المفارقات الزمنية وهي «العودة إلى ما قبل نقطة الحكي، استرجاع حدث كان قد وقع قبل الذي يُحكى الآن »[4]تتكرر حالة الألفة مع الذكريات التي تغمر قلب "إبراهيم"كلما تذكر زوجته مرت بفكره مشاهد من حياته الزوجية

[1]الرواية: ص 89.

[2]الرواية: ص 61.

[3]الرواية: ص 61.

[4]جان ريكاردو: "قضايا الرواية الحديثة"، تر: صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (ط 1)، 1977، ص 250.

السعيدة التي كانت، فالحنين يعيده في كل مرة إلى زمن مضى ولا يمكن أن يعود ،رغم ذلك يحلم بعودته ليسلك غير السلوك الذي سلك، إذ يعتصر قلبه ندماً على فواته، خاصة اليوم الأخير له مع زوجته الذي ما زال يحرق روحه ويعذبه ويجعل منه شخصاً يعتصر ندماً على معاملته لها بذلك العنف، عند تلك الثانية زوالاً في يوم ما حيث «دخل صباحاً مخموراً إلى حد لم يبلغه قط من قبل »[1]ليحدث بعدها ما حدث وتغادر المنزل بلا رجعة بعد تسببه في قتل كروانها بكل وحشية.

وعن ذكريات الصبا فكانت حافلة بمشاعر الأمان والارتياح إذ يستعيدها" إبراهيم"بكل حب، أوقات جميلة جمعته ووالديه في بيت سعيد مليء بالطمأنينة «فالحنين إلى الماضي ملك فكره»[2] أين ألفى والده وهو صبي «في مثل هذا الوقت كان ينهض والده يتوضأ ويصلي»[3] وكذا نسيم الصباح في« داعبت نسمة خفيفة وجهه استدار ...قائلاً أتدري وكأنه نسيم الصبا.. كان أبي _ رحمة الله عليه _ «يقول لي بأنه ريح من الجنة عندما يطلّ على الأرض يوم سعيد»[4].

أما في المركب فتلخصت حياة الركاب أو الحجيج في ترقبهم وقت الصلاة إلى الصلاة فلم يكن يريد أي منهم أن يضيع وقتها، إذ أضحى هذا الموعد في نظرهم بالأهمية بما كان، يتيح لهم لقاء ربهم ومناجاته خمس مرات في اليوم فوعيهم بهذه الدقائق كان في منتهاه «اتجه ... إلى المكان المشار إليه مستعجلاً لكيلا يضيع فرصة قيامه بالصلاة مع مرافقيه الجدد»[5]، فوقتها مقدس في أذهان ليس فقط الكبار بل الأمر نفسه حتى مع الفتى"هادي"فهي أفضل موعد ينتظره

[1]الرواية: ص 46.
[2]الرواية: ص 45.
[3]الرواية: ص 51.
[4]الرواية: ص 133.
[5]الرواية: ص 84.

بشغف كتلميذ يتطلع وقت الاستراحة «كان فرحاً لحضور الصلاة، وقد توضأ قبلها في المطبخ وهو يعطي انطباعاً بأنه شخص يعرف ماذا يفعل، كان يحس بفرحة مميزة كمن وجد مدخلاً لسعادة عارمة حتى ظن أن مصدرها الجنة»[1].

كما تتضح عبر تقنية الاستباق وهي «التطلع على الأمام أو الإخبار القبلي، يروي السارد فيه مقطع حكائي، يتضمن أحداث لها مؤشرات مستقبلية»[2]،حالة الوعي حتى بالزمن اللاحق وحقيقة النظر والتصور لليوم الآخر وذلك ما شرحه المتحدث فيما تعلق بالنقاش الدائر بين الحُجاج وبين البحّار عن الدين الإسلامي وعلاقته بالديانات الأخرى حيث أنهى الإمام الحديث كملخص قائلاً «سوف يتذكرون الله في يوم رهيب آت وسيكتشفون حينئذ أنّ الحياة لم تكن سوى عصابة على أعينهم»[3]، فالمسألة إذن متعلقة بوقتٍ فقط لتتضح بعدها حقيقة صدق الرسالة الإسلامية ويوم الحساب، لكن الزمن أو الوقت عند المسكينة "زهرة"لا يحمل هذه المعاني الجميلة سابقة الذكر بل يبعث على ممل قاتل بتفاصيل يومها التي لطالما تكررت ولا تملك في ظل وحدتها سوى محاولة قتله إذ «كانت زهرة تنتظر استيقاظه لتضع المائدة... عادت بعد أن قامت بغسل بعض الملابس لقتل الوقت...»[4].

2) وعي الذات بالمكان:

لو عرجنا علىالمكان لوجدناه متجذراً في أعماق البشر مرتبط بهم أشد الارتباط درجة التماهي والامتزاج أحياناً، حتى أن بعضهم لا يستطيع التأقلم خارجه، فهو كما يقال ظاهرة نفسية

[1] الرواية: ص 138، 139.

[2] ميساء سليمان الإبراهيمي:" البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب (ط 1)، دمشق، سوريا، 2012م، ص 203.

[3] الرواية: ص 107.

[4] الرواية: ص، 46.

واجتماعية . وبذلكالارتباط والاتصال به أمر لا نقاش فيه، والتوحد معه حتمية نفسية لا مجال للمراهنة عليها، وعنه في النص الأدبي كما قال "هنري متران" «المكان هو مؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة أي عند نزولها من مخيلة الأديب إلى أرض الواقع»[1]، كما هو المحرك الأساسي لكل شخصيات العمل الأدبي، ومن منطلق أن الذات لا« يمكن أن تكون مكتملة الجوانب إلا إذا انبسطت خارج حدود ذاتيتها فتلمس كل ما هو حولها ببصمتها فتسقط من قيمها على المكان وهنا يصبح المكان جزء هاماً من حياة الناس »[2] ، لذا نجده أخذ بالحظ الأوفر فالشخصية والمكان تجمعهما صلة وطيدة في الواقع والرواية، يعمل على توجيه سلوكيات الشخصية ولا مناص من التأثر والتأثير بينهما كما «يرتبط المكان بالشخصية ارتباط وثيقاً إذ ما من شك أن هذا الارتباط هو – في حد ذاته –ارتباط بالحياة النابضة»[3].

ولو خصصنا الحديث عن وعي الذات بهذا المكان وعلاقته به، فيمكننا أن نصنفها العلاقة إلى: إما ألفة أو تنافر أوربما حياد، فالشخصية بهذا المعنى «قد تنسجم مع المكان فتحبه وتعيش في ألفة معهوقد لا تنسجم الشخصية مع المكان فتكرهه وتشعر بالتناقض معه وأن هذا التناقض يخلف نوعاً من الصراع بين دواخل الشخصية وعلاقتها مع أنماط المكان المختلفة»[4]، ونجد منتهى الألفة في تلك العلاقة المقدسة التي جمعت الجميع بمكة المكرمة والكعبة فهي تُحدث رعشة في الخافق فقط عند ذكرها، فقد مثلت الكعبة حلماً لذيذ ومنتهى الأمل والمبتغى

[1] إبراهيم عباس: "تقنيات البنية السردية في الرواية المعاصرة"، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، (ط 1)، الجزائر، 2002، ص34.

[2] سعدية بن ستيتي: "فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير ل: وسيني الأعرج "– دراسة سيميائية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص أدب حديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة سطيف 2، الموسم الجامعي 2012/ 2013، ص 50.

[3] ضياء غني لفتة: "البنية السردية في شعر الصعاليك "، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1ن 2010، ص 123.

[4] عدي عدنان محمد: "بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ "دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماص"، دار الكتب الحديثة، ط1، الأردن، العراق، 2011، 166.

وزيارتها رغبة جامحة مقدسة سكنت قلوب كل المسلمين في جميع أصقاع العالم المسلم «لقد حلمت بالكعبة»[1]، وهذا الحلم كما رأينا كان المنطلق في توبة الشخصية الرئيسية في العمل، «كان يرى بين جفنيه وكأنه خارج من مرفأ عنابة والمركب يعُج بهتافات الحجيج الملبية لدعوة الحج»[2].

الأمر والعلاقة نفسها تتكرر مع الذي فعل المستحيل حتى يزور مقام إبراهيم الخليل وتعلق قلبه بمكانٍ تهفو كل النفوس إليه، فلم يدخر جهداً لتطأ قدماه تلك البقاع الطاهرة، ويشم عبقها المليء بنفحات الإيمان والخشوع، حين حاول استمالة الشيخ من أجل أن يسهل له الصعود على المركب يقول الشيخ: «لقد أغراني برغبته في الحج وتواطأت معه»[3]، حتى الذين لا يسعفهم الحظ بالذهاب إلى هناك لا يترددون في طلب الدعاء من الذاهبين لأداء الركن الخامس من الإسلام فكثيراً ما تسمع «أدع لنا عند قبر الرسول ..العام المقبل إن بقينا أحياء، آه! كم أتمنى أن أموت هناك! هذه العبارات البسيطة تكشف عمّا تكنّه النفس المؤمنة من حنين إلى واد بعيد واد غير ذي زرع، حيث ترك إبراهيم ذريته لكي يعبدوا الله ...وكل عابر سبيل يلتقي في طريقه بالحاج يحمله الدعاء الذي ينوء صاحبه بحمله»[4]، رحلة رغم صعوبتها وبعض المشاكل التي قد تعترض السائر في دربها تبقى غصة في قلب كل محروم منها حتى وإن لم يكن قادراً على أدائها مالياً أو صحياً.

كانت في زمن أحداث الرواية أي في الأربعينيات من القرن الماضي تمر أو«تبدأ المرحلة الحقيقية للرحلة المقدسة من بورسعيد، الذي ينطقه عرب المغرب (البّر السعيد) بالنسبة إلى الناس البسطاء من هذا المكان يبدأ الحج إلى الأراضي المقدسة ... بعده يظهر الميناء الحجازي

[1] الرواية: ص 38.
[2] الرواية: ص 40.
[3] الرواية: ص 95.
[4] الرواية: ص 30.

الصغير (رابغ) الذي يُنبه الحجيج بأنهم قد دخلوا المنطقة المقدّسة»[1]، يحفظ المسلمون و يقدسوا حتى الطريق المؤدية لهذه البقاع ويعتبرونها في حد ذاتها فأل خير وهو ما أخبر به الكاتب في أنهم يسمون منطقة بورسعيد بالبّر السعيد.

ليست هذه الأماكن المتفق عليها فقط من تحظى بالألفة والمودة وكذا التقديس، لكن هناك أماكن خاصة بشخصية بعينها تجعل في قلبها لها وداً خاصاً، كالتي تشكل أو تحمل ذكريات جميلة وأوقات سعيدة ، أو ارتبطت بأشخاص قد رحلوا مثل بيت إبراهيم القديم المفعم بالمودة والصبر في كنف زهرة التي أشاعت فيه من بريقها وحلمها، إذ يقول ابن عربي «المكان إذا لم يؤنث لا يعول عليه»[2]، فرمزية المكان لا تتشكل دلالته المعبرة عن الألفة والحميمية، إلا عبر موضع المرأة داخله والتي لم يفتأ يذكرها حتى الآن، «كان يعيش لحظة كلها نعيم رقة لكل من يراه في الشارع وهو متجه صوب بيت العم محمد انصرفت نفسه للإحساس بالحنين المسبق إلى هذه الأماكن يخالطها شعور مبهم بعدم رؤيتها مجدداً، امتلأت عيناه وأذناه بهذه الانطباعات الحية عن الشارع ليحافظ عليها ذكرى لمن سيذهب بعيداً عن موطنه»[3]، إنه والله لتعبير بليغ ذلك الذي دعاه المفكر "مالك بن نبي"بالحنين المسبق إذ وصف بصدق الحالة التي تسبق المغادرة التي تنتاب الشخصية وهي تفكر باحتمال عدم رؤية موطن الصبى مجدداً ويجعل المرء يعيش ربما حالة اغتراب قبل حالة الغربة.

قد يشكل المكان في بعض الأحيان ضغطاً على ساكنيه ويحبسهم في ذكريات مؤلمة وتجارب فاشلة و إحباطات تطبع هذه الأمكنة بعينها ويتماشى مع هذا ما آل إليهحال الشخصية بعد أن «كان دخان الشمعة يملأ المحل ويزعجه فجأة أراد الخروج منه وقد أحس بنفور تجاه

[1]الرواية: ص 41.

[2]ابن عربي: "الطريق إلى الله"، جمع وتأليف: محمود محمد الغراب، مطبعة نضر، دمشق، سوريا، ط2، 1986م، ص139.

[3]الرواية: ص 64.

المكان وكل الأشياء القاتمة المحيطة به تنبّه إلى أنه ومنذ زمن بعيد لم يشهد طلوع الفجر»[1] أبرز المقطع كيف أطبق المكان بكل تفاصيله على نفسه ولم يدعه يستنشق هواء نقياً بما غرس في روحه من ظلام وعتمة.

لذا ما كان ليرضى البقاء فيه ولا الانتماء إليه، فرغبة جامحة أصبحت تمنعه من التردد مجدداً على تلك الأمكنة التي تروي تفاصيل ضياعه، منها الدكان الذي مثل سواد حياته كسواد فحمه، وكذا الحانة التي لطالما تردد عليها لقد أراد من قلبه أن يُحدث قطيعة مع هذه الأماكن وصلته بها لا يمكن أن تكون بعد الآن سوى علاقة تنافر ورفض شديد، باعتبارها تعيده أو تذكره بما لا يحب «لقد انقطع سحر الحلم لدى إبراهيم الذي عاد فكره مرغماً إلى أجواء المحل ... تجول بصره في دُكانه المعتم الذي كانت تبثه الشمعة بضوئها الخافت ودخانه، بدأت نشوة الحلم الذي رآه في نومه ويقظته تتلاشى حين أدرك حالته الراهنة والأشياء القاتمة التي كانت تحيط به، انتابه إحساس بالاختناق»[2]، وبين هذا وذاك يحمل المكان أحيانا في علاقته بالشخصية ووعيها موضع الحياد فلا يشكل ساعتها شعوراً معيناً ويكون تبعاً لذلك مجرد مساحة، فلا هي تفيض بالأمن والمحبة والسلام، ولا مصدراً للارتباك والخوف.

تأسيساً على ما سبق يتبين أن الرواية ركزت بشكل كبير على أهمية الوقت ، باعتباره شرطاً من شروط النهضة وكذا في حياة الشخصيات، خاصة منها التي ترغب في رسم مسارٍ إيجابي في حياتها وكما رأينا معظم الشخصيات الفاعلة في الرواية تسابق الوقت انطلاقاً من وعيها به، من أجل الوصول لأقدس بقاع الأرض هذه البقاع التي تربط كل المسلمين بها حالة من التقديس والألفة والنفحات الإيمانية، إلا أنه ليست كل الأماكن تحمل المعنى نفسه فقد تشكل الأخيرة حالة من النفور أو حتى حياد حيالها.

[1] الرواية: ص 52.

[2] الرواية: ص 43.

الخـــاتمة

الخاتمة:

لكلّ بداية نهاية، ونهاية بحثنا خاتمة ضمنّاها أهم ما توصلنا إليه من مفاهيم ونتائج، ومنها ما يتعلق بشخصية الكاتب وجلّها يرتبط برواية "لبيك حجّ الفقراء".

يتبين أن الرواية تحمل معاني حضارية عميقة من عمق أفكار الكاتب الذي لا يمكن أن نسميه أديباً بقدر ما هو صاحب مشروع فكري حضاري متكامل الأركان، يحاول من خلاله النهوض بالأمة من حالة الركود لتواكب ركب الأمم المتقدمة المثقفة ثقافة ترقى بها، تنبع من الأمة الإسلامية الضاربة جذورها في أعماق التاريخ والحضارة، ذلك هو "مالك بن نبي "فما أرادت إخبارنا به الرواية من خلال شخصية بطلها "إبراهيم "هو أنه لا يمكن للأمة أن تنهض إلا بعودتها لقيمها العربية الإسلامية الأصيلة، وكما رأينا لم ينصلح حال الشخصية إلا حين أدرك أن طريقه الذي يمشي فيه لم يكن له ولا ينسجم مع أصوله، وإنما هو نمط عيش لمعمرين قطنوا بلاد الجزائر وزرعوا فيها عاداتهم وسلوكاتهم، لهذا حملت الشخصية المحورية ذلك الوعي بالذات والآخر تماماً كما حمله كاتبها الكبير، إذ أدركت خطأها وعادت إلى منبعها ومنبتها وربها وانقذت نفسها بسبب وعيها بماضيها وحاضرها وبالتالي محاولة بناء مستقبلها بنفسها حتى لا تكون عرضة للسخرية من صبية الحي.

من خلال ما قيل في توظيف المؤلِف للموروث الثقافي وبالذات الديني يمكن القول في نهاية المطاف أن العمل فعلاً غني بهذا النوع من الموروث، فقد جاءت الرواية زاخرة بعبق الدين والحضارة، مما يجعل المتلقي وهو يطالع هذه الرواية يعود لفترة زمنية كانت فيها الجزائر أكثر تمسكا بموروثها الثقافي والحضاري.

وعن توظيف الموروث الاجتماعي من لدن الكاتب، يتضح ذلك التماسك والانسجام الذي ميز المجتمع الجزائري وكذا سيره في طابعٍ من المحافظة والالتزام يصعب السماح بالخروج عن نسقه، وإن كنا سجلنا بعض مظاهر الجهل والتخلف التي نخرت مجتمعنا والمتمثلة في لجوء بعض المغلوب على أمرهم إلى بائعي الوهم.

بعد وقوفنا على بعض المظاهر الحضارية التي زخرت بها الرواية في شقها المادي، وجدنا أنها عكست بحق غنى الإرث الثقافي الذي تتمتع به الجزائر، في النمط المعماري المميز والنابع في أصله من روح الدين الإسلامي فرغم تعاقب الحضارات على هذه الأمة، إلاّ أنها حافظت بكل بسالة على خصوصيتها المتجذرة في أعماق التاريخ.

ومع تتبعنا لرحلة الوعي التي مر بها إبراهيم تبين لنا – وإن كان ربط وعي الذات بشخصية سكير أمراً مستهجناً جداً– أنّ الكاتب أثبت أن البذرة الطيبة تنبت بلا شك شجرة طيبة وقد يكون سكيراً يوماً ما فرداً واعياً صالحاً منتمياً لمجتمعه إيجابياً عائداً لربه.

وانطلاقا من الأبعاد الثلاث للشخصيات،يتضح أنه رغم اختلاف منطلقاتها ومستوياتها ودرجة وعيها وأثرها إلا أنها في نهاية المطاف شكلت تقاطبات في حياة الشخصية الرئيسية، بين أبٍ روحي مثّل الدعم والنصح وزوجه صابرة وفية وفتى تشع من قلبه صورة لغدٍ مشرق وبين رفيق مثير للرحمة والشفقة.

كما يتبين تركيز الرواية بشكل كبير على أهمية الوقت ،باعتباره شرطاً من شروط النهضة وكذا في حياة الشخصيات خاصة منها التي ترغب في رسم مسارٍ إيجابي في حياتها فمعظم الشخصيات الفاعلة فيها تسابق الوقت انطلاقاً من وعيها به، من أجل الوصول لأقدس بقاع

الأرض هذه البقاع التي تربط كل المسلمين بها حالة من التقديس والألفة والنفحات الإيمانية، إلا أنه ليست كل الأماكن تحمل نفس المعنى فقد تشكل الأخيرة حالة من النفور أو ربما حياد.

العمل بحق كما هو، رحلة لأطهر بقعة في الأرض من أجل أداء فريضة دينية هو كذلك رحلة في أعماق ذات الفرد الجزائري في صراعه الداخلي بين ثقافته وحضارته المتجذرة وبين ثقافة محتل للبلاد يحاول احتلال العقول بعد استيطانه الأرض، كما تعد رحلته نقلة من طور الضعف والانهزامية إلى القوة والفعالية، حاول المفكر"مالك بن نبي"من خلاله إيقاظ الأمة واستنهاض همتها كما هو ديدنه في كل مؤلفاته.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

I. المصادر:

1. مالك بن نبي: "لبيك حج الفقراء"، تر: زيدان خوليف، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط1.

II. المراجع:

1. إبراهيم عباس: "تقنيات البنية السردية في الرواية المعاصرة"، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، (ط 1)، الجزائر، 2002.

2. ابن عربي: "الطريق إلى الله"، جمع وتأليف: محمود محمد الغراب، مطبعة نضر، دمشق، سوريا، ط2، 1986م.

3. أبو القاسم سعد الله: "تاريخ الجزائر الثقافي"، (الجزء الأول، 1500 _ 1830)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.

4. أبو القاسم سعد الله: "أفكار جامحة"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د، ط، الجزائر، 1988).

5. أحمد محمد سالم: "إشكالية التراث"، رؤية للنشر والتوزيع، مصر (د، ط)، 2010.

6. أكرم ضياء العمري: "التراث المعاصر"، دار الشؤون الدينية، قطر، (د، ط)، 1986.

7. حسين مؤنس: "الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، دار المعرفة، الكويت، ط1، 1978،

8. سعيد سلام: "التناص التراثي "، دار أربد، الأردن، (د، ط)، 2010.

9. سعيد يقطين: "قال الراويالبنية الحكائية في السير الشعبية"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.

10. شريبط احمد شريبط: "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947-1985"، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د، ط)، 1998.

11. صبيحة عودة زعرب: "جماليات السرد في الخطاب الروائي عند كنعان الكنفاني"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

12. ضياء غني لفتة: "البنية السردية في شعر الصعاليك "، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.

13. عابد الجابري: "المغرب المعاصر"، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط 1، 1988.

14. عبد الرحمان بن خلدون: "المقدمة "، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2007.

15. عبد السلام هارون: "دراسات نقدية في التراث العربي"، دار السلفية لنشر العلم، مصر، ط1، 1988.

16. عبد الكريم الجبوري: "الإبداع في الكتابة والرواية"، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، ط1، 2003.

17. عبد الله العروي: "ثقافتنا في ضوء التاريخ "، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1988.

18. عبد المالك مرتاض: "في نظرية الرواية"، بحث في تقنيات ومفاهيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (د، ط)، 1998.

19. عدي عدنان محمد:"بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ "دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماص، دار الكتب الحديثة، ط1، الأردن، العراق، 2011.

20. عز الدين إسماعيل: "الأدب وفنونه"، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).

21. فاروق أحمد مصطفى: "الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي" دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، (د، ت).

22. فاروق خورشيد: "الموروث الشعبي"، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

23. فتحي بوخالفة: "التجربة الروائية المغاربية "دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، (د، ط)، أربد، الأردن، 2010.

24. فتحي بوخالفة: "شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة "عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، (د، ط)، 2010.

25. فرج طه، شاكر قنديل، حسين محمد، مصطفى عبد الفتاح: "موسوعة العلم والتحليل النفسي"، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993م.

26. محمد إقبال عروي: "جمالية الأدب الإسلامي"، دار العطاء المكتبة السلفية 1986.

27. محمد رياض وتار: "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة "منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د، ط، 2002.

28. ميساء سليمان الإبراهيمي: "البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ط 1، دمشق، سوريا، 2012م.

29. ناصر الحجيلان: "الشخصية في قصص الأمثال العربية"، النادي العربي، الرياض، ط1، 2009.

III. الكتب المترجمة:

1. جان ريكاردو: "قضايا الرواية الحديثة"، تر: صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (د، ط)، 1977.

2. روبرت همفري"تيار الوعي في الرواية الحديثة"، تر: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر، (د، ط)، 2000.

3. مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984.

4. مالك بن نبي: "شروط النهضة"، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1986.

IV. الرسائل الجامعية:

1. خيرة بن بلة: "المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني"، رسالة دكتوراه في الأثار الإسلامية معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008/2007.

2. سعدية بن ستيتي: "فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير ل: وسيني الأعرج "– دراسة سيميائية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص أدب حديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة سطيف 2، الموسم الجامعي 2012/ 2013.

3. لويزة لعمري: "نظرية الثقافة عند مالك بن نبي " دراسة تحليلية نقدية مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير كلية الآداب واللغة، تخصص اللغة الأدب العربي فرع النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، تاريخ المناقشة، 2014/12/31.

4. محمد عبد المقصود: "فاعلية كل من الإرشاد النفسي الفردي والجماعي في تعديل مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين المصابين بشلل الأطفال"، رسالة دكتوراه كلية التربية، جامعة طنطة، مصر.

5. نيرة عز الدين: "مفهوم الذات لدى الأطفال المرضى بالقلب الناتج عن الحمى الروماتزمية في المرحلة العمرية من 11-15عام من الجنسين"، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، مصر.

6. يسمينه شرابي: "الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، دراسات أدبية ولغوية، إشراف: على لطرش، الموسم 2013/2012.

V. المجلات العلمية:

1. محمد مصطفى كلاب: "البطولة في شعر الشهيد (إبراهيم المقادمة)"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ع أ، مج 20، يناير، 2012.

VI. القواميس والمعاجم:

1. إبراهيم مصطفى وغيره:" المعجم الوسيط"، تح: مجمع اللغة العربية، دار العودة، ج1.

2. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب"، تر: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 6، ج 53، دار المعارف، (د، ط)، القاهرة، (د، ت).

3. عبد الحميد بورايو: "في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات"، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت).

4. مجدي وهبة، كامل المهندس: "معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب"، مكتبة لبنان، ط 2، 1994.

1. مجمع اللغة العربية:" المعجم الفلسفي"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، (د، ط)، 1983م.

2. معجم اللغة العربية: "معجم الوسيط"، مكتبة الشروق العربية، مصر ط4، 2004م.

3. مصطفى سويف وآخرون: "معجم العلوم الاجتماعية"، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1975م.

4. لطيف زيتوني: "معجم مصطلحات نقد الرواية"، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002.

5. عبد الرحمان بدوي: "موسوعة الفلسفة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط)، 1984.

VII. المواقع الإلكترونية:

1. www.lovdz.com/v6/shomthread.php25091brahimston.blogsot.com

2. الموقع الإلكتروني: الرسمي لمخلف العلي القادري الحسيني:

Https : //maraje3.com /2012/02/definition- zawiya-tidjania/

3. https://alkadriaalia.com /play.php ?catsmktba=230

4. https//alifaa.jo/article.aspx?articleId=3512#. y_ upkhbmliu

5. https//islamotine.net/

الملاحق

ترجمة لمالك بن نبي:

في عام 1905م ولد المفكر والفيلسوف والكاتب الكبير "مالك بن نبي" في أسرة متدينة وفقيرة، انتقل بسبب حالة عائلته ونقص مواردها للعيش مع عمه، وعلى رغم من هذه الحالة واظب على التعلم فقد تعلم القرآن الكريم، وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينتي (تبسة) و(قسنطينة)، سافر عام 1925م إلى مرسيليا وليون وباريس؛ بحثاً عن عمل ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر أين عمل في تبسة مساعد كاتب في المحكمة، وبفضل هذا العمل أتاح له الاحتكاك بمختلف شرائح المجتمع إبان الاستدمار وأدى هذا لتغيير ظواهر مختلفة فيما بعد، وكان لتعرفه على الشيخ "عبد الحميد بن باديس" أثر كبير حيث عرف قيمته الإصلاحية وتأثر به أيما تأثر، وسعى بعد سفره إلى فرنسا للدخول إلى معهد الدراسات الشرقية، ولكنه لم يفلح في ذلك، غير أنه سُمح له بدخول معهد اللاسلكي وتخرج منه مهندساً كهربائياً[1].

أقام "مالك بن نبي" في فرنسا وتزوج من سيدة فرنسة اعتنقت الإسلام على يديه، وهناك تفرغ لحياته الدراسية والفكرية إذ بدأ تأليف عديد الكتب، في القضايا التي تخص العالم الإسلامي وتعد من أهم المؤلفات العربية في القرن العشرين، كما قد شارك في نقاشات ذات طابع عقدي مع مسيحيين في فرنسا، وكانت له في هذه الفترة شبكة من العلاقات الفكرية والثقافية، إذ التقى مع عديد الشخصيات المهمة مثل "غاندي "و"شكيب أرسلان"، لقب "مالك بن نبي "بزعيم الوحدة المغربية وذلك بسبب حضوره اللافت المميز في أوساط المغاربة في باريس كما عانى من التضييق والهجوم من المستشرقين من أمثال الفرنسي (لويس ماسينيون) .

[1] ينظر : واكي راضية: "قراءة في رواية لبيك حج الفقراء للمفكر مالك بن نبي" (مقاربة تأويلية لرواية فكرية فلسفية)، جامعة زيان عاشور، الجلفة ص 193

غادر فرنسا باتجاه القاهرة في عام 1954م بسبب اندلاع ثورة التحرير الجزائرية بغرض المشاركة فيها من هناك، وأقام فيها ما يقرب سبع سنوات غير أن زوجته رفضت مرافقته، حضي في القاهرة باحترام وتقدير كبيرين، شغل هناك مستشار لمنظمة التعاون الإسلامي، عمق معرفته بالعربية، كما راجع فيما بعد جميع مؤلفاته التي ترجمت إلى العربية وأعاد تحريرها، ثم انتقل إلى الكتابة والتأليف باللغة العربية، وكذلك ألقى العديد من المحاضرات بالعربية في مصر وسوريا ولبنان.

رجع المفكر "مالك بن نبي "إلى بلده الجزائر وذلك في عام 1963م وعمل في عدد من المناصب من أهمها مديراً عاماً للتعليم العالي في 1964م إلى أن استقال منها في 1967م كي يتفرغ لعمله الفكري الإسلامي وتنظيم ندوات فكرية كان يحضرها الطلبة من مختلف المشارب، كانت النواة لملتقى الفكر الإسلامي، الذي يُعقد كل عام في الجزائر، وظل "مالك بن نبي "ينير الطريق أمام العالم الإسلامي[1]إذ تمحورت جل إعماله وكتاباته حول التغيير الإيجابي، وعملية إعادة بناء الفرد والمجتمع الإسلامي، فقدم الكثير من المقالات للصحافة الجزائرية إضافة إلى العديد من الكتب سيتم التطرق إليها.

توفي المفكر والفيلسوف والكاتب الجزائري عن عمر ناهز الثامنة والستين عاماً، ودفن في مقبرة "سيدي أمحمد بو قبرين لمدينة الجزائر العاصمة في 31أكتوبر 1973م، تاركاً خلفه تراثاً قيماً أثرى به المكتبة الجزائرية والعربية عموماً.

أهم كتبه ومؤلفاته:

باعتبار المفكر "مالك بن نبي "صاحب قضية وفكر ورؤاً عميقة وقلم سيال، فإن مؤلفاته تعدت الخمسة والعشرين كتاباً، حيث لم يكُفَ عن التأليف بداية من (الظاهرة القرآنية) 1946،

[1]المرجع السابق :ص 193.

وتلاه برواية (لبيك حج الفقراء) سنة 1947م وهي رواية فلسفية، ثم (شروط النهضة) 1948م، (وجهة العالم الإسلامي)، (الفكرة الأفروآسيوية) 1959م، (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) 1960م، وهو أول كتاب "لمالك بن نبي "باللغة العربية بخلاف لمعظم كتبه التي ألَّفها بالفرنسية، وفي عام 1960م كتب أيضاً كتابه (فكرة كومنولث إسلامي) 1960م، (في مهب المعركة) 1961م، و(ميلاد مجتمع) 1962م، (أفاق جزائرية) 1964م، (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي) 1969م، (مذكرات شاهد القرن) 1970م،(مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) 1971م، (المسلم في عالم الاقتصاد) 1974، (دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين)1974م، (تأملات) 1961م، (بين الرشاد والتيه) 1978م، (مجالس دمشق) 2005م، (العفن) 2007م، (القضايا الكبرى) 1991م، ولمالك بن نبي أثار فكرية لم تطبع، وهي في صورة مخطوطات مثل (دولة مجتمع إسلامي)، (العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها)، (مجالس تفكير) وغيرها[1].

كما تجدر الإشارة أن له مجموعة من المؤلفات شبه مفقودة، تصادفنا عناوينها في بعض الدّراسات السابقة لكنّها غير متوفرة لا في المكتبات الجزائرية ولا في معارض الكتب ربما لأنه قد نشرت فقط في طبعة أولى ولم يعاد طبعها:

(دعوة إلى الإسلام) 1947م، (معنالرّحلة) 1970م، (أنقذوا الجزائر) 1957م، (الإسلام والديمقراطية) 1968م، (العولمة)2004م.

مضامين الرواية:

رواية "لبيك حج الفقراء" لصاحبها المفكر الجزائري "مالك بن نبي"، ترجمة ل"زيدان خويلف"الصادرة عن دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة بالجزائر بطبعتها الأولى عام 2013،

[1]واكي راضية: قراءة في رواية "لبيك حج الفقراء" للمفكر مالك بن نبي (مقاربة تأويلية لرواية فكرية فلسفية)، جامعة زيان عاشور – الجلفة ص 194.

على مدار 156صفحة، الفضل في ظهورها يعود للباحث الجزائري زيدان خويلف الذي ناقش أطروحة دكتوراه في جامعة السوربون سنة 2006 تحت عنوان (حياة وأعمال مالك بن نبي من عام 1905،1973) وقد أشرف على أطروحته المفكر العربي" برهان غليون "وقد عثر "خويلف" على الرواية مكتوبة بالفرنسية وترجمها إلى العربية ونشرت لأول مرة سنة 2009 عن دار الفكر بدمشق.

كان التصدير فيها بقلم "عمر مسقاوي" حيث يقول: "فتش عنها الدكتور زيدان في المكتبات القديمة، وكان أول إصدار لها باللغة الفرنسية عام 1947م[1]تدور أحداث النص في أحد الأحياء الشعبية لمدينة عنابة (بونة إبان الحقبة الاستدمارية الفرنسية) وتضع القارئ في الأجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط، يقول مسقاوي"قصة لبيك رسمت عمق الروح الجزائرية وشخصياتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية المنشدة إلى منازل الوحي، فمكة والكعبة مثلتا في فكر مالك بن نبي أنشودته وروحه والمنطلق في مشروعه والمعاد إليها في بناء جديد لحضارة الإسلام وهي تبعث من جديد"[2]، بأسلوبه السلس المبين هي نداء البداية والنهاية معاً، "وقد استخلصها بن نبي من روح عفوية الشعب الجزائري والفقراء; إذ يرى فيهم المنهل الصافي لماء الحياة والحضارية الإنسانية، لذا فلبيك نموذج الفطرة في الجزائر وصفاء شبكة العلاقات الإنسانية في عفويتها"[3]، يوضح مالك بن نبي في حديثه عن نصه هذا أنه قد كتبه في غرفة فندق بين سفرتين متقاربتين أي على عجالة.

تحكي الرواية عن إبراهيم ذلك الشاب السكير المنبوذ من المجتمع محط سخرية أطفال الحي أين صار يلقب "بوقرعة" والذي أتعب زوجته "زهرة "تلك المرأة الجزائرية الأصيلة بتصرفاته المخجلة ما جعلها تغادره إلى غير رجعة رغم صبرها ووفاءها له ولوالديه المتوفيان، يجد نفسه

[1]الرواية، ص10.

[2]الرواية، ص11.

[3]الرواية، ص13.

ذات ليلة بعد سهرة سُكر يعود إثراها مترنحا إلى دكانه وبعد أن يغفو يرى في ما يرى النائم أنه بجانب الكعبة الشريفة بلباس الإحرام لتكتمل له الصورة بعد سماع أذان الفجر، الذي كان يدعوا للفلاح، حاول تلبية نداء الصلاة وبما أنه لم يكن على طهارة توقف عند باب المسجد، لكن هذا لم يمنعه من الدعاء بأن يهديه الله ويغفر ذنوبه، ليضئ نور الصباح وجهه وهو مازال يدعو متضرعاً.

يحاول إبراهيم دون تأخير ودون محاولة تفسير حلمه تحقيقه، فيقرر ترك محله لصديقه في حين سيبدأ هو رحلة جديدة في حياته، رحلة التوبة والإنابة، رحلة الحج، ويستعين في ذلك بالعم محمد الرجل الورع الذي طالما وقف إلى جانبه وسانده.

تركز الرواية على تلك التفاصيل التي جرت في الباخرة المتوجه إلى مكة المكرمة والتي جمعته بجمعٍ من الحجيج وخاصة الطفل هادي اليتيم المتشرد ماسح الأحذية والذي يحمل في قلبه الغاية نفسها بعد أن تراهن مع زملائه على النجاح في الوصول إلى هدفه، لتنشئ علاقة ودية بين هادي وإبراهيم حيث حاول هذا الأخير مساعدة الفتى في البقاء على ظهر الباخرة كما يعلمه شيء من الصلاة، وبعد أن يتم له مراده يرسل رسالة إلى عمه محمد يطمئنه على وصوله إلى المدينة المنورة وأدائه مناسك الحج، ولا ينسى أن يرسل سلامه إلى زهرة التي كانت قد أرسلت له حين علمت بسفره لأداء فريضة الحج سبحة والدته، ويقول أنه لن ينساها وصبرها الرائع معه ويتمنى لها حجة وأن تقبل اللحاق به في المدينة خلال الحج المقبل، ويطلب من العم محمد أن يسلمها بقية ثمن البيت، ويسأل الله أن يجمعه معها بالسعادة في هذه الدنيا أو في الآخرة، لم يُورد الكاتب أنها رفضت الرجوع إليه على اعتبار معاملته وإساءته لها، ومن جهة أخرى لم يورد أنها وافقت بعد تغير وانصلاح حاله، لقد ترك الكاتب تصور نهاية العلاقة بين "زهرة "و"إبراهيم "إلى ذائقة القارئ الذي يرسمها كما يشاء وإن كان يرى أنه يستحق فرصة ثانية.

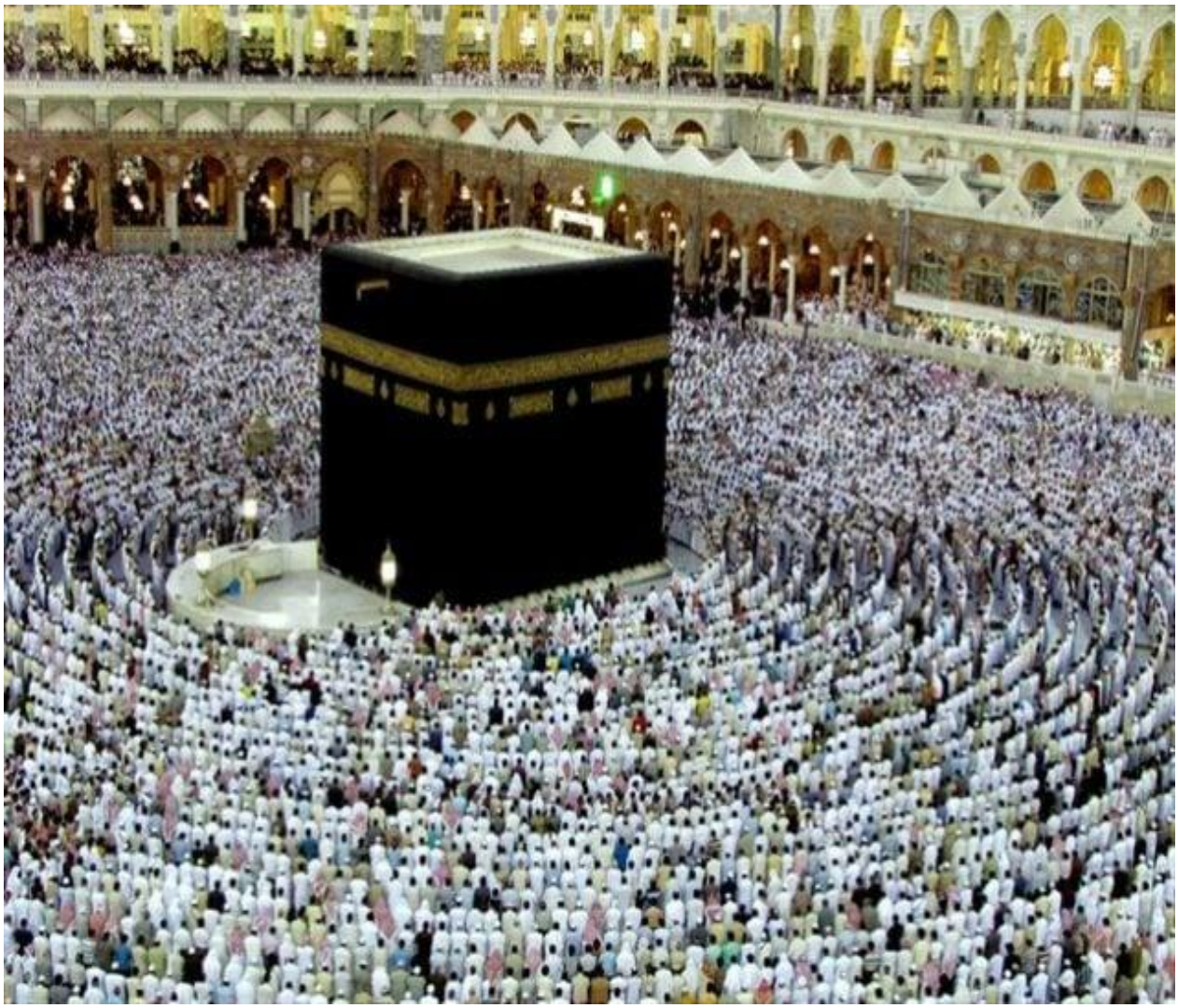

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الرقم	العناوين	الصفحة
01	**الاهداء**	-
02	**شكر وعرفان**	-
03	**مقدمة**	أ – ج
	مدخل: مفاهيم نقدية	
04	**أولاً: مفهوم الموروث الثقافي**	05
05	1. مفهوم التراث	05
06	2. مفهوم الثقافة	07
07	**ثانياً: مفهوم وعي الذات**	12
08	1. مفهوم الوعي	12
09	2. مفهوم الذات	14
10	**ثالثاً: مفهوم الشخصية**	16
	الفصل الأول: تجليت الموروث الثقافي في رواية "لبيك حج الفقراء"	
11	**أولاً: الموروث الديني**	20
12	**ثانياً: الموروث الاجتماعي**	27
13	العادات والتقاليد الاجتماعية	27
14	الفنون الشعبية	27
15	المعتقدات	27
16	الموروثات الشفوية	28
17	**ثالثاً: الموروث الحضاري**	35

الفصل الثاني: وعي الذات في رواية " لبيك حج الفقراء "		
18	**أولاً: وعي الذات المحورية**	**47**
19	**ثانياً: وعي الذات وأبعاد الشخصية**	**58**
20	**ثالثاً: وعي الذات للزمان والمكان**	**73**
21	1.وعي الذات بالزمن	**73**
22	2.وعي الذات بالمكان	**76**
23	**خاتمة**	**82**
24	**قائمة المصادر والمراجع**	**86**
25	**الملاحق**	**93**
26	**فهرس موضوعات**	**100**

تم بحمد الله

ملخص:

تأتي هذه الدراسة كمساهمة متواضعة في تسليط الضوء على جانب من التراث الثقافي في الجزائر وعلاقته بوعي الذات انطلاقاً من وعي بطل رواية " لبيك" لـ"مالك بن نبي"وهي دراسة تحليلية وصفية تأويلية لإبراز أنواع من هذا الإرث الثري والذي وظفه الكاتب بما يخدم ايديولوجيته ورآه الفكرية والفلسفية، فالموضوع أصبح يكتسي أهمية باعتباره يمثل الهوية والانتماء لكن دون التقوقع والانغلاق على الذات ولقد تنبأ الكاتب بثورة التحرير ويبدوا هي رسالته المبطنة، إذ كما عادت الشخصية المحورية لحضارتها وجذورها تعود الجزائر لا محالة حرة مستقلة لذا فالرواية رسمت عمق الروح الجزائرية التي تقف في وجه مختلف مظاهر الاستلاب والتغريب، وأبانت عن توافق رؤى الكاتب الفلسفية مع ما جسده في عمله الأدبي هذا.

الكلمات المفتاحية: الموروث، الثقافة، الحضارة، وعي الذات.

Summary:

This study comes as a modest contribution to shed light on the aspect of the cultural heritage in Algeria and its relationship to self-awareness based on the awareness of the hero of the novel “Labbek“ by “Malik Bennabi“, an analytical study descriptive interpretive to highlight the types of this rich heritage, which the writer employed to serve his ideology and his intellectual and philosophical vision, the subject has become important as representing identity and belonging, but without isolation and closure on the self The writer has predicted the liberation revolution and seems to be his hidden message, as the character returned The pivotal nature of its civilization and its roots Algeria inevitably returns free and independent, so the novel painted the depth of the Algerian soul that stands in the face of various manifestations of alienation and Westernization, and showed the compatibility of the writer's philosophical visions with what he embodied in this literary work.

Keywords: heritage, culture, civilization, self-awareness.